الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ٨ | الجزء : ١ | أبريل - يونيو ٢٠٢٣ م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرفي
(رئيس التحرير)
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي
(مدير التحرير)
أستاذ النّحو والصّرف المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي
أستاذ النّحو والصّرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمّد علي العوفي
أستاذ اللغويّات المشارك بمعهد تعليم اللغة العربّية بالجامعة الإسلاميّة

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمّد بن صالح الشّنطي
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة جدارا–الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السّيد
أستاذ النّحو والصّرف والعروض–جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السّلمي
أستاذ النّحو والصّرف–جامعة الملك عبدالعزيز بجدّة

***

قسم النشر: د. **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمّد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلاميّة

أ.د. محمّد محمّد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النّحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

أ.د. عبدالرّزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخمّاش
أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمّد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد في جامعة أمّ القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتّحدة

أ.د. عمر الصّديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية–الخرطوم

د. سليمان بن محمّد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقًا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**مَا زِيدَ علَى المشهُورِ في مَسَائلِ النَّحو دِراسَةٌ وَصفيَّةٌ تَحليليَّة** د. نواف بن أحمد بن عثمان حكمي	٩
٢)	**أبو عمرو الدّاني، واختياراته النحوية من خلال كتابه : المُكتفى في الوقف والابتدا** د. إبراهيم بن علي بن محمد آل قايد عسيري	٩٩
٣)	**الأبنية المستدركة على سيبويه بين ابن عصفور وأبي حيان** عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع	١٦٥
٤)	**تجليات النخلة في النَّظم القرآني (دراسة بلاغية)** د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي	٢٣٩
٥)	**"إقناعية الأمر والنهي وقوتهما الإنجازية في القرآن الكريم الأمر بإيتاء اليتامى أموالهم والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل نموذجًا"** د. سحر مصطفَى إبراهيم المعَنَّا	٣٠٧

م	البحث	الصفحة
٦)	**القوّة الإقناعيّة في الاستعارة التصوّريّة** د. محمّد الناصر كحّولي	٣٥٧
٧)	**الانسجام التأويلي** **دراسة عن أثر القارئ في تحقيق انسجام النص الشعري** د. موسى بن درباش الزهراني	٤٠٥
٨)	**بلاغة النظم والتصوير** **في (قافِيَّة) ابن المُقرَّب العيوني** د. قُدَاس بنت خالد بن محمد الخضيري	٤٣٩
٩)	**الأدب الترفيهي** **أنواعه ، وآثاره في إثراء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠** د. نايف بن عبدالله حسين الحازمي	٥١١
١٠)	**المادة الأدبية** **في كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي(ت٢٠٤هـ)** منى بنت خلف العنزي	٥٥٥
١١)	**أخطاء التلاوة** **لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى** د. علي بن هذلول علي الهذلول	٦٠١

القوّة الإقناعيّة في الاستعارة التصوّريّة

The Persuasive Power in the Conceptual Metaphor

د. محمّد الناصر كحّولي

أستاذ البلاغة والنقد المشارك، قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلّيّة اللغة العربيّة والدراسات الاجتماعيّة، جامعة القصيم، المملكة العربيّة السعوديّة.

البريد إلكتروني: Knacirov1@yahoo.com

الملخّص:

مدار هذا البحث على العلاقة القائمة بين بلاغة الحجاج والعرفانيّة (الإدراكيّة). وهو يهدف إلى بيان ما تنطوي عليه الاستعارة التصوّريّة من طاقة حجاجيّة، والوقوف على دورها في الإقناع. وسيعتمد على المنهج الوصفي التحليليّ، بوصفه أنسب المناهج في تحليل مادّة يهيمن فيها الطابع النظريّ.

وقام البحث على دراسة التصوّر الحرفيّ ومصادره، سواء المتعلّقة بتجارب الإنسان الفيزيائيّة أو الاجتماعيّة أو الثقافيّة، وكذلك دراسة مصادر القوّة الإقناعيّة في الاستعارة التصوّريّة سواء المصادر الذاتيّة أو المصادر السياقيّة.

وسيستند البحث إلى أبرز النتائج المتوصّل إليها في الدراسات البلاغيّة والعرفانيّة. وهو يطمح إلى بيان مصادر القوّة الإقناعيّة في الاستعارة التصوّريّة، ومختلف مظاهر مفعولها الحجاجيّ.

الكلمات المفتاحية: حجاج، استعارة تصوّريّة، تصوّر حرفيّ، تصوّر مجرّد، سياق، قوّة حجاجيّة.

Abstract:

This research focuses on the relationship between the argumentation rhetoric and Cognitive. It aims to explain the argumentative energy involved in the conceptual metaphor, and examining its role in persuasion. It will depend on the analytical descriptive approach, as it is the most appropriate method for analyzing a content in which the theoretical character dominates.

The research was based on the study of literal perception and its sources, whether related to human physical, social or cultural experiences and the study of the sources of persuasive power in the conceptual metaphor, whether subjective sources or contextual sources.

The research will be based on the most prominent findings in rhetorical and Cognitive studies. It aspires to clarify the sources of persuasive power in the conceptual metaphor, and the various manifestations of its argumentative effect.

Keywords: Argumentation, conceptual metaphor, literal perception, abstract perception, context, argumentative power.

المقدّمة:

تعدّ نظريّة الاستعارة التصوّريّة الثورة الثانية في العلوم العرفانيّة (الإدراكيّة). وقد أثارت منذ استوائها عددا من المسائل الخلافيّة بين أنصارها وخصومها الذين عدّوها، على حدّ تعبير باتريك هوجان، "فوضى استعاريّة"، وبلغ الخلاف درجة صار يُعرف معها بحروب الاستعارة(١). وأثارت كذلك مسائل خلافيّة بين أنصارها، حول كمّيّة الاستعارات التصوّريّة الموجودة في الذهن البشريّ، وكيفيّة تنشيط الخلايا العصبيّة أثناء معالجة الاستعارة إنتاجا وتقبّلا(٢)، وشروط الفصل والوصل بين الاستعارة التواضعيّة والاستعارة المتعمّدة (Deliberate metaphor) والاستعارة الجامحة (Runaway metaphor)، وآليات التمييز بين التعبير الاستعاريّ والتعبير الحرفيّ، وكيفيّة التعرّف إلى الكلمة متى تكون كائنا مجازيّا ومتى تكون كائنا حرفيّا، في أيّ خطاب(٣).

ومن أبرز المسائل المتّصلة بنظريّة الاستعارة التصوّريّة علاقتها بالحقول المعرفيّة المجاورة، وتحديدا العلاقة بين البلاغة والعرفانيّة. وهي علاقة تبدو على درجة كبرى من الغموض. ويزداد ذلك الغموض تراكما عند البحث في سبل تجسير العلاقة بين بلاغة الحجاج، بوصفها علما فرعيّا من علم كلّيّ هو البلاغة، والاستعارة التصوّريّة بوصفها

(1) Raymond W. Gibbs, Jr, Metaphor Wars Conceptual Metaphors in Human Life, Cambridge University Press, 2017.

(٢) يعدّ نموذج نارايان، في إطار النظريّة العصبيّة للغة، من أبرز النماذج التي عالجت كيفيّة إنتاج الجهاز العصبيّ للاستعارة وفهمها.

(٣) اقترح جيرارد ستين وزملاؤه في جامعة فو أمستردام برنامج MIPVU (Metaphor identification procedure) لتمييز الكلمة الاستعاريّة من الكلمة الحرفيّة. وخُصّص المشروع المسمّى MetaNet لكشف الاستعارات المستخدمة في بعض اللغات وفهمها.

نظريّة من أبرز النظريّات في العلوم العرفانيّة. فبلاغة الحجاج تقارب الخطاب من زاوية تأثيره في المتلقّي، وتبحث عمّا به يكون الإقناع في أيّ موضوع كان[١]. والاستعارة التصوّريّة طريقة في التفكير، تجري إلى فهم ميدان تصوّريّ مجرّد أو ينزع إلى التجريد، عن طريق ميدان تصوّريّ محسوس أو أقلّ تجريدا وغموضا[٢].

ولعلّ انصراف الاستعارة التصوّريّة إلى المكوّن الدلاليّ، واقتصارها على الفهم والإدراك وإغفالها سياق الاستعمال قد جرّدها من المكوّن التداوليّ وما قد يترتّب عليه من مقاصد أو أبعاد حجاجيّة. ولئن أدّت محاولة سلطان كوفيتش في فتح الاستعارة التصوّريّة على السياق في إطار ما اصطلح عليه بـ"السياق التصوّريّ العرفانيّ" (Conceptual-cognitive context) إلى رتق الفتق في مستوى السياق، فإنّها اقتصرت على البحث في دور السياق في إنتاج استعارة جديدة واستحداثها أو اختيار قديمة تواضعيّة وفهمها[٣].

وليست الاستعارة التصوّريّة، سواء كانت قائمة برأسها أو منزّلة في سياق، مجرّد مطيّة للذهن يستخدمها في الفهم والإدراك، والمقولة والتصنيف فحسب، بقدر ما هي حمّالة طاقة حجاجيّة متعدّدة المصادر، منها ما هو ناشئ من انسجامها الداخليّ، ومنها ما هو ناشئ من السياقات المنزّلة فيها. وهي ذات مفعول حجاجيّ في المتلقّي مختلف الوجوه، يصل درجة تغيير النسق التصوّريّ القائم في مجموعة لسانيّة أو ثقافيّة مّا.

ولعلّ العدول عن النظر إلى الاستعارة التصوّريّة من زاوية لسانيّة، أساسها الإسقاط والفهم، إلى النظر إليها من زاوية بلاغيّة، أساسها التداول والإقناع، يؤدّي

(1) Aristote, Rhétorique, trad. C-E Ruelle, le livre de poche, Librairie Générale Française, Paris, 1991, p. 82 (1355 b).
(2) Raymond W. Gibbs, Jr, Metaphor Wars conceptual metaphors in human life, p. 18.
(3) Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, Oxford University Press, 2015, pp. 176-200.

إلى الانسجام بين المكوّنات الدلاليّة والتداوليّة والعرفانيّة، وخلق منطقة وسطى بين العرفانيّة وبلاغة الحجاج يشتغل فيها العرفانيّ حجاجيّا، ويشتغل الحجاجيّ عرفانيّا.

ولم يتسنّ للباحث الاطّلاع على أيّ دراسة سابقة سواء بالعربيّة أو الفرنسيّة أو الأنجليزيّة أو الألمانيّة درست العلاقة بين بلاغة الحجاج والعرفانيّة. وتتمثّل الإضافة العلميّة في هذا البحث في بيان دراسة الحمولة الحجاجيّة في الاستعارة التصوّريّة وبيان كيفيّة اشتغالها حجاجيّا. فكيف تشتغل الاستعارة التصوّريّة حجاجيّا؟ ومن أين تستمدّ طاقتها الحجاجيّة؟ وفيم يتمثّل مفعولها الحجاجيّ؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة وأشباهها تقتضي النظر في مصادر الإقناع في بلاغة الحجاج، ليتسنى إمكان الوصل بين الحجاج والاستعارة التصوّريّة. فمن أين يتأتّى الحجاج في بلاغة الحجاج؟

أوّلا: المقدّمات الحجاجيّة في بلاغة الحجاج:

إنّ الحجاج، من حيث هو نشاط عقليّ، يقوم على مجموعة متنوّعة من المقدّمات، تتباين بتباين النظريّات الحجاجيّة، وتختلف باختلاف المنظّرين(١). والمقدّمة هي "قول يوجب شيئا لشيء أو يسلب شيئا عن شيء وجُعل جزء قياس"(٢). وقد اختلف الفلاسفة والبلاغيّون قديما وحديثا في وضع تصنيف جامع مانع لتلك المقدّمات. وتعنينا في ما نحن منه بسبيل خمسة أصناف: المشهورات والمقبولات والمحسوسات والمجرّبات والمتواترات.

(١) ينطلق الحجاج الجدليّ من مقدّمات مشهورة، في حين ينطلق الحجاج الخطابيّ من مقدّمات ظنّيّة، بينما ينطلق الحجاج السفسطائيّ أو المغالطيّ من مقدّمات كاذبة.

(٢) ابن سينا، "النجاة في الحكمة المنطقيّة والطبيعيّة والالهيّة". (ط ١، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٥)، ص ٢٢.

والمشهورات في تعريف أرسطو هي "الآراء المشتركة بين جميع الناس أو بين الذين يمثّلون الرأي المستنير، ويُعتبرون ذوي سلطة"(١). وكان الفلاسفة المسلمون بسطوا القول في أنواع المشهورات، فهي المشهور عند الجميع مثل أنّ الله واحد، أو المشهور عند أكثرهم من غير أن يخالفهم الباقون، أو المشهور عند العلماء والفلاسفة من غير أن يخالفهم الجمهور، مثل ما يراه الحكماء في بقاء النفس، أو المشهورات عند أكثر العلماء من غير أن يخالفهم الباقون، أو المشهور عند ذوي النباهة والصيت من أهل العلم من غير أن يكون رأيا مبتدعا، أي مخالفا لما يراه الجمهور(٢). ومن المشهورات كذلك المقدّمات التجريبيّة التي تصحّح بالتجربة في الصنائع النظريّة والعمليّة. ويعدّ الشبيه بالمشهور مشهورا. ويكون نقيض ضدّ المشهور مشهورا(٣). ويكون ضدّ المشهور مشهورا.

وكان الفرابي قد دقّق المقدّمات المشهورة، وعرّفها بقوله: "المقدّمات المشهورة هي التي موضوعاتها معان كلّيّة مهملة(٤)، وهي كلّيّة يوثق بها، وتُقبل، ويُعتقد فيها أنّها

(١) ابن رشد، "نصّ تلخيص منطق أرسطو"، دراسة وتحقيق جيرار جهامي. (ط ١، بيروت، دار الفكر اللبنانيّ، ١٩٩٢)، ٦-٧: ١٢.

(٢) ابن رشد، "تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل"، تحقيق محمّد سليم سالم، (الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٠)، ص: ٣٢.

(٣) إذا كان مشهورا قولنا: ينبغي أن يحسن إلى الأصدقاء، وكان ضدّه: ينبغي أن يحسن إلى الأعداء، كان نقيض هذا الضدّ مشهورا، وهو قولنا: لا ينبغي أن يحسن إلى الأعداء.
المرجع نفسه، ص: ٣٤.

(٤) يقول ابن سينا: "المهملة قضيّة حمليّة (الحمليّة هي التي توقع هذه النسبة بين شيئين ليس في كلّ واحد منهما هذه النسبة إلّا بحيث يمكن أن يدلّ على كلّ واحد منهما بلفظ مفرد كقولنا الإنسان حيوان) موضوعها كلّيّ، ولكن لم يبيّن أنّ الحكم في كلّه أو في بعضه كقولنا الإنسان أبيض. وتكون موجبة وسالبة. وإذا لم يتبيّن فيها أنّ الحكم في كلّ أو في بعض فلا =

كذلك، وتُستعمل من غير أن يُعلم منها شيء آخر أكثر من ذلك"[١]. واصطلح ابن سينا على المشهورات بـ"الذائعات". وهي "مقدّمات وآراء مشهورة محمودة أوجب التصديق بها إمّا شهادة الكلّ مثل أنّ العدل جميل، وإمّا شهادة الأكثر وإمّا شهادة العلماء أو شهادة أكثرهم أو الأفاضل منهم فيما لا يخالف رأي الجمهور"[٢].

وتلحق بالمشهورات المقبولات، وهي آراء أوقع التصديق بها قول من يوثق بصدقه فيما يقول إمّا لأمر سماويّ يختصّ به أو لرأي وفكر قوي تميّز به مثل اعتقادنا أمورا قبلناها عن أئمّة الشرائع عليهم السلام. ووجه الاختلاف بين المشهورات والمقبولات هو أنّ المشهورات هي رأي جميع الناس، وأمّا المقبولات فهي رأي إنسان واحد فقط أو رأي طائفة معيّنة. و"الرأي مقدّمة كلّيّة محمودة في أنّ كذا كائن أو غير كائن، موجود أو غير موجود، صواب فعله أو غير صواب"[٣].

وأمّا المحسوسات فهي أمور أوقع في التصديق بها الحسّ كقولك الثلج أبيض، وكقولك أنّ الشمس نيّرة. والمجرّبات "هي أمور أوقع التصديقَ بها الحسُّ بشركة من القياس، وذلك أنّه إذا تكرّر في إحساسنا وجود شيء لشيء، وإذا تكرّر منّا ذلك في الذكر حدثت لنا منه تجربة بسبب قياس اقترن بالذكر. والمتواترات هي الأمور المصدّقُ

=

بدّ أنّه في بعض، وشكّ في أنّه في الكلّ أو أهمل ذلك. فلذلك كان حكم المهملة حكم الجزئيّ".

ابن سينا، "النجاة في الحكمة المنطقيّة والطبيعيّة والالهيّة"، ص: ١٣.

(١) الفارابي، "المنطق عند الفارابي"، تحقيق وتقديم وتعليق رفيق العجم، (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦)، ٣: ١٨.

(٢) ابن سينا، "النجاة في الحكمة المنطقيّة والطبيعيّة والالهيّة"، ص: ٦٣.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٥٩.

بها من قبل تواتر الأخبار التي لا يصحّ في مثلها المواطأة على الكذب لغرض من الأغراض كضرورة تصديقنا بوجود الأمصار والبلدان الموجودة وإن لم نشاهدها[١].

وتشترك الأصناف الثلاثة الأولى، أي المشهورات والمقبولات والمحسوسات، في القيمة عند الفارابيّ، فقد نزّلها في البداية منزلة المقدّمات اليقينيّة. ثم وصل إلى تصنيف ثلاثيّ حول المقدّمات الأوّل قائلا: "ينبغي أن نجعل المشهورات أوائل، ونجعل اليقينيّة المشتركة للجميع في جملتها. فنحصل أصناف المقدّمات التي تستعمل أوائل وتتميّز بعضها من بعض من أوائل الأمور ثلاثة: محسوسات ومقبولات ومشهورات"[٢].

وتتمايز أصناف المقدّمات فيما بينها، في مستوى القيمة والأهمّيّة، حسب معايير مختلفة، من أبرزها مواضع الإدراك المتّصلة بها عند الإنسان، ودرجة صدقيّتها، ومدى تسليم الناس بها. فالمشهورات، وكذلك المقبولات، تستمدّ قيمتها من ارتباطها بالذهن، وقد خضعت لتراتبيّة تفاضليّة. فأشرفها "هي المشهورات عند الجميع، ثم المشهورات عند الأكثر. وما عدا ذلك فإنّما عدّ في المشهورات لأنّ الجميع أو الأكثر يرى فيها أنّها ينبغي أن تُقبل"[٣].

وتستمدّ المحسوسات قيمتها من اتّصالها بالحواسّ، والتجربة الجسديّة الفرديّة. فهي تمثّل حقائق وصل إليها الإنسان بعد أن أدركها عن طريق حاسّة من حواسّه، وتأكّد من صدقها ويقينها. وتزداد قيمتها عندما يُصبح الإحساس بها مشتركا بين مجموعة بشريّة مّا، أو بين مجموعات بشريّة مختلفة. فتصبح من قبيل المسلّمات.

(١) ابن سينا، "النجاة في الحكمة المنطقيّة والطبيعيّة والالهيّة"، ص: ٥٩.
(٢) الفارابي، "المنطق عند الفارابي"، ص: ١٩.
(٣) ابن رشد، "تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل"، ص: ٣٥.

والأمر ذاته بالنسبة إلى المجرّبات، فهي تستمدّ قيمتها من اتّصالها بالحواسّ والتجربة. وتنزع تلك التجربة إلى البعد الجمعيّ، ذلك أنّها مرتبطة بالتكرار والقياس. فمتى تكرّرت أيّ ظاهرة، وقيست اللاحقة على السابقة، وأدّى ذلك إلى النتيجة نفسها أصبحت تجربة. وهذا نشاط جمعيّ يتجاوز كفايات الفرد بمفرده.

وتستمدّ المتواترات بدورها قيمتها من اتّصالها بالتجربة، وتنزع التجربة منزعا ثقافيّا، ذلك أنّ المتواترات تتّصل بالأخبار والمعلومات والعادات والممارسات المتناقلة بين الأفراد والأجيال. وتشكّل تلك الأخبار والمعلومات، وخصوصا العادات والممارسات، مظهرا من مظاهر ثقافة مجموعة بشريّة مّا.

وكلّ تلك المقدّمات الحجاجيّة على اختلاف أنواعها، تشكّل لبنة أساسيّة ينهض عليها الحجاج، ومنطلقا ضروريّا في عمليّة إذعان المتلقّي لأطروحات المتكلّم، سواء بالتأثير فيه أو إقناعه أو حمله على الاقتناع. فكيف تشتغل المقدّمات حجاجيّا؟ ومن أين تستمدّ طاقتها الحجاجيّة؟

تشتغل المقدّمات الحجاجيّة حجاجيّا بطريقتيْن متقاربتيْن. تتّصل الطريقة الأولى بالتفكير البلاغيّ القديم. فالمقدّمة الحجاجيّة في البلاغة القديمة مكوّن أساسيّ من كلّ عمليّة قياس. وهي صنفان حدّدهما الفارابي في قوله: "المقدّمة التي يكون أحد جزأيها محمولا في المطلوب، وهو الطرف الأعظم، هي المقدّمة الكبرى، والتي يكون جزء منها موضوعا في المطلوب تسمّى الصغرى"(١). وترد المقدّمة الكبرى قاعدة عامّة، وهي تنطوي على حكم موجب أو سالب، وترد المقدّمة الصغرى حالة خاصّة. ثمّ تُطبّق القاعدة العامّة على الحالة الخاصّة من أجل الوصول إلى نتيجة.

(١) الفارابي، "المنطق عند الفارابي"، ص: ٢١.

وأمّا القياس فاستدلال يتكوّن من "قول إذا وُضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم من الاضطرار عن تلك الأشياء الموضوعة بذاتها لا بالعرض شيء مّا آخر غيرها"(١). وشرح ابن رشد كلام أرسطو، فـ"القول" هو القول الجازم، وهو جنس القياس. ويُراد بـ"أشياء أكثر من واحد" المقدّمات، ويعني بـ"شيء مّا آخر" النتيجة. فقولك: "سقراط مائت"، هو نتيجة لقياس مضمر، أُضمرت مقدّمته الكبرى، وتقديرها "كلّ إنسان مائت"، وطُويت مقدّمته الصغرى، وتقديرها، "سقراط إنسان".

ويتضمّن القياس ثلاثة حدود: الحدّ الأكبر، وهو محمول المقدّمة الكبرى والنتيجة، ويطابق في النموذج السابق "مائت". والحدّ الأصغر، وهو موضوع المقدّمة الصغرى والنتيجة، وهو "سقراط". وأمّا الحدّ الأوسط فهو "إنسان"، وينهض بوظيفة الربط بين الحدّيْن الآخريْن.

ولما كانت المقدّمة الحجاجيّة تتنزّل في بنية القياس منزلة المقدّمة الكبرى، فهي بمنزلة القاعدة العامّة التي تنطوي على حكم موجب أو سالب. وذلك الحكم الذي يمثّل جوهر المقدّمة الحجاجيّة يتميّز بالصدقيّة، لأنّ "رأي جميع من سوانا فيها رأي واحد، وأنّهم يشهدون جميعا أنّها كذا أو ليست كذا"(٢). وتبعا لتلك الصدقيّة فإنّ ذلك الحكم يمثّل موضعا مشتركا ومحلّ اتّفاق بين الجميع. فيحظى بالمقبوليّة، ويتنزّل منزلة المسلّمات، فيشكّل في النهاية سلطة تستمدّ منها المقدّمة الحجاجيّة طاقتها الإقناعيّة.

ونظرا إلى أنّ ذلك الحكم مسلّمة تمارس سلطتها على الجميع فإنّ كلّ نتيجة تلزم عنه يذعن لها الجميع ويصدّقون بها. وذلك المقصود بشرح ابن سينا لفعل "لزم"

(١) ابن رشد، "نصّ تلخيص منطق أرسطو"، دراسة وتحقيق جيرار جهامي، (ط ١، بيروت، دار الفكر اللبنانيّ، ١٩٩٢)، ٥: ١٣٩.

(٢) ابن رشد، "نصّ تلخيص منطق أرسطو"، ص: ١٨.

في قوله: "ومعنى لزم أنّه يحصل التصديق به"[١]. ولكنّ التصديق بالنتيجة والاقتناع بها لا يتمّ عن طريق نقل خاصّيّة الصدقيّة في ذلك الحكم إلى النتيجة، وإنّما يتمّ عن طريق نقل التسليم بذلك الحكم إلى النتيجة. فالتسليم بالحكم يؤدّي إلى التسليم بالنتيجة، بصرف النظر عن صدق ذلك الحكم من كذبه. ويؤدّي ذلك حتما إلى تسليم المتلقّي بتلك النتيجة والإذعان لها.

وأمّا الطريقة الثانية التي تشتغل بها المقدّمات الحجاجيّة حجاجيّا فتتّصل بالبلاغة الجديدة. فقد عدّ شايم بيرلمان وتيتيكاه المقدّمات الحجاجيّة الأساس الذي يُبنى عليه الاستدلال، والمنطلق الذي يحقّق مبدأ تكيّف الخطيب مع السامع[٢]، ويحول دون وقوع الخطيب في المصادرة على المطلوب، متى كان السامع لا يشارك الخطيب في التسليم بتلك المقدّمات.

وتلك المقدّمات نوعان في تصوّر بيرلمان: أوّلهما نوع ينتمي إلى الواقع، ويشمل الوقائع والحقائق والافتراضات. وهي تستند إلى التجربة الجسديّة أساسا. فالوقائع هي تجارب مشاهدة أو تجارب مفترضة، وهي من جنس الوقائع المعيشة لكونها وقائع محتملة الوقوع. والحقائق تنطلق من الربط بين التجارب المشاهدة لتظهر في شكل نظريّات علميّة أو مفاهيم فلسفيّة أو دينيّة. وترتبط الافتراضات بما هو عادي أو محتمل لدى مجموعة بشريّة مّا سواء في التجارب الجسديّة أو التجارب الثقافيّة. ويتحدّد العادي أو المحتمل استنادا إلى تلك التجارب التي أصبحت مشتركة بين أفراد تلك المجموعة البشريّة.

(١) ابن سينا، "النجاة في الحكمة المنطقيّة والطبيعيّة والالهيّة"، ص: ٣١.

(2) Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, Éditions de l'université de Bruxelles, 6ème édition, Bruxelles, 2008, p. 25.

ويتّصل النوع الثاني بالمفضّل، ويشمل القيم والهرميّات والمواضع. ومدار هذا النوع على التجارب الثقافيّة. فالقيم سواء كانت مجرّدة كالحريّة أو محسوسة كالوطن مستمدّة من التجربة الثقافيّة لمجموعة بشريّة مّا. والهرميّة منهج في ترتيب تلك القيم استنادا إلى المشترك في ثقافة تلك المجموعة البشريّة، فالله أعلى درجة من الإنسان، والإنسان أعلى درجة من الحيوان، والحيوان أعلى درجة من النبات. وأمّا المواضع فهي الخزّان الذي تنبع منه المعطيات الثقافيّة نحو مفاضلة شيء على شيء لاعتبارات كمّيّة أو كيفيّة.

وتستمدّ تلك المقدّمات قوّتها الإقناعيّة من كونها موادّ اتّفاق (Objets d'accord)[1] بين الخطيب والسامع، تحقّق تماسّ الأذهان بينهما. وتمثّل ما هو مشترك بين مجموعة بشريّة مّا أو بين جميع الناس، وتتنزّل منزلة حجّة السلطة، وتحظى بالموافقة العامّة (Accord Universel). ويتمثّل مفعولها الإقناعيّ في حمل المتلقّي على الإذعان والتسليم بالنتيجة، نظرا إلى عدم قدرته على الاعتراض أو خرق ما هو محلّ اتّفاق بين الجميع، أو على الأقل المجموعة اللسانيّة والثقافيّة التي ينتمي إليها.

وأمّا تولمين فلئن عدّ تصوّر أرسطو حول القياس المنطقيّ محدودا وتنقصه الكفاية الإجرائيّة لكونه غير قادر على استيعاب مختلف أنواع الحجج، فإنّه انطلق منه في بناء تصوّره الجديد[2]. وسنعرض هذا التصوّر استنادا إلى أبرز رسم حجاجيّ صاغه تولمين في كتابه، وهو على النحو الآتي:

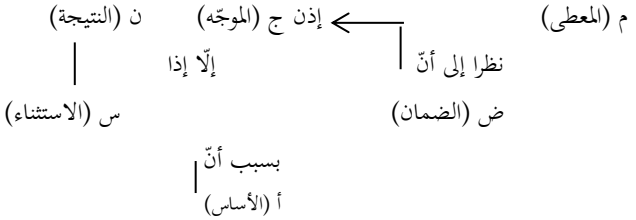

(1)Ibid, p. 89.

(٢) Stephen Edelston Toulmin, Les usages de l'argumentation, P.U.F. Paris, 1993, pp. 139-145.

يتكوّن هذا الرسم الحجاجيّ من ستّة عناصر، يمكن تصنيفها صنفيْن: عناصر أساسيّة وأخرى ثانويّة. يتكوّن الصنف الأوّل من أربعة عناصر: أوّلها المعطى (م)، وهو المعلومة المقدّمة، ومن شروطه أن يكون مصرّحا به. وثانيها عنصر الضمان (ض)، ومن شروطه أن يكون ضمنيّا. وثالثها الأساس، وهو الذي يُبنى عليه الضمان، ورابعها النتيجة (ن). ويتكوّن الصنف الثاني من عنصريْن، هما الموجّه (ج) والاستثناء (س)، ويمثّل إمكان نقض المعطى.

ويعنينا من عناصر هذا الشكل الحجاجيّ عنصران، هما الضمان والأساس الذي يقوم عليه. فالضمان يشتغل حجاجيّا بوصفه قانون عبور (Loi de passage)[1]، حسب كريستيان بلونتين، يضمن للمتكلّم الاستدلال (Garantie d'inférence) للمرور من المعطى إلى النتيجة دون احتمال الوقوع في الخطأ. ويقابل الضمان في هذا التصوّر المقدّمة الكبرى في تصوّر أرسطو. وأمّا الأساس فهو العمق الذي يشدّ الضمان ويسنده. فيزيده دقّة وقوّة ورسوخا في الأذهان.

ويستمدّ الضمان قوّته الإقناعيّة من كونه يمثّل مقدّمة كونيّة (Prémisse universelle) يرتكز عليها الاستدلال. وهو يستند إلى ما هو مشترك بين الأغلبيّة أو الجميع، ويتّفقون حوله. فهو بذلك مسلّمة يسلّم بها الجميع وموضع مشترك يحظى بالموافقة العامّة. ولا شكّ في أنّ الضمان ما كان ليكون موضع اتّفاق لو لم يكن مستمدّا من التجارب الجسديّة أو الاجتماعيّة أو الثقافيّة لمجموعة بشريّة مّا. ولهذا فإنّ دوره الحجاجيّ الأساسيّ يتمثّل في تجذير المعطى في عمقه التجريبيّ والثقافيّ.

والمستفاد ممّا تقدّم نتائج خمس أساسيّة: تتّصل أولاها بمصدر المقدّمات الحجاجيّة، وهو نوعان: أوّلهما فيزيائيّ، فجزء كبير من المقدّمات الحجاجيّة يستند إلى

(1) Christian Plantin, Essais sur l'argumentation, introduction linguistique à l'étude de la parole argumentative, Éditions, Kimé, Paris, 1990, p. 29.

التجربة الفيزيائيّة سواء تلك المستفادة من تجربة فرد أو تجربة مجموعة بشريّة أو تجربة الإنسانيّة جمعاء. وثاني النوعيْن ثقافيّ، فالجزء الثاني من المقدّمات الحجاجيّة يستند إلى التجارب الثقافيّة، سواء كانت تلك الثقافة محلّيّة مرتبطة بمجموعة بشريّة مّا، أو كانت ثقافة كونيّة مرتبطة بتجربة جميع الناس.

وتتعلّق النتيجة الثانية بقيمة تلك المقدّمات. فهي مسلّمات صدّق بها الجميع وأذعنوا لها، وموضع مشترك يحظى بالموافقة العامّة، وإثباتات (Assertions)[1] موثوق بها، ناتجة من التجارب الفيزيائيّة والثقافيّة التي عاشتها مجموعة بشريّة مّا، وأحيانا جميع الناس.

وتتّصل النتيجة الثالثة بوظيفة تلك المقدّمات. وهي وظيفة حجاجيّة. فما دامت تلك المقدّمات تمثّل مسلّمة وموضعا مشتركا، فإنّها تفرض على الجميع ثقلا توجيهيّا وتمارس عليهم سلطة، فيقبلون بها ويذعنون لأحكامها ويتكيّفون سلوكيّا مع مقتضياتها، ولا يعترضون عليها.

وتتعلّق النتيجة الرابعة بالبعد العرفانيّ في تلك المقدّمات. فكلّ تلك المقدّمات تمثّل المداخل الأساسيّة في النشاط الإدراكيّ للذهن البشريّ. فالذهن ينطلق من التجارب سواء الفيزيائيّة أو الاجتماعيّة أو الثقافيّة، ليفهم بها ذاته أوّلا والكون وأشياءه ثانيا. ثم يجعل تلك التجارب التي أصبحت مسلّمات سواء في جانبها الفيزيائيّ أو الاجتماعيّ أو الثقافيّ أساس عمليّة الإدراك لما هو مجرّد. فهو يرتكز عليها، فيبني منها مجموعة من التصوّرات الحرفيّة أو النازعة إلى الحرفيّة، ثمّ يجعلها مرقاة، ويوظّفها في فهم تصوّرات أخرى مجرّدة أو تنزع إلى التجريد.

(1) Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, Presses Universitaires de France, 2ème édition, Paris, 1994, p. 172.

وأمّا خامسة النتائج فتتّصل بالمسلّمات. فهي عصب المقدّمات الحجاجيّة، سواء كانت تلك المقدّمات من المشهورات كما عند أرسطو، أو من موادّ اتّفاق كما عند بيرلمان أو مقدّمات كونيّة كما عند تولمين. وهي في جوهرها حكم مستفاد من تجارب فيزيائيّة أو اجتماعيّة أو ثقافيّة عاشتها مجموعة لسانيّة أو ثقافيّة مّا. وتأكّدت لديها بسبب تكرار محتوى ذلك الحكم صدقيّته، فتحوّل مسلّمة موثوقا بها. وقد اتّخذت تلك المسلّمات مظهريْن: مظهرا حجاجيّا ومظهرا عرفانيّا. يتمثّل المظهر الحجاجيّ في كونها منطلقا لإيقاع التصديق في ذهن السامع. ويتمثّل المظهر العرفانيّ في كونها منطلقا لإيقاع الفهم في ذهن السامع. فكيف تشتغل المسلّمات أو المقدّمات الحجاجيّة عرفانيّا؟

ثانيا: التصوّر في نظريّة الاستعارة التصوّريّة:

تقوم نظريّة الاستعارة التصوّريّة / المفهوميّة على مصطلح "التصوّر" أو "المفهوم". وهو المصطلح المركزيّ في هذه النظريّة. وله أربعة أنواع: يحيل أوّلها على الكفاية بوصفها قدرة لدى الإنسان مركزها الدماغ، مسؤولة عن النشاط التجريديّ في الذهن، وتختلف من إنسان إلى آخر. وهي، حسب لايكوف، "قدرة تصوّريّة تتكوّن من ثلاثة مكوّنات:

- القدرة على تكوين بنى رمزيّة مرتبطة بالمفهوم المسبق للبنى في تجربتنا اليوميّة.
- القدرة على الإسقاط مجازيًا من البنى في الميدان المادّيّ إلى البنى في الميادين المجرّدة. وتكون مقيدة ببنية أخرى مترابطة بين الميادين الماديّة والمجرّدة. وهذه يفسّر قدرتنا على التفكير في الميادين المجرّدة مثل الكمّيّة والغرض.

– القدرة على تكوين مفاهيم معقّدة وتصنيفات عامّة باستخدام مخططات الصور ذات النظام المبَنين"[١].

ثمّ أفاد لايكوف وجونسون ممّا شهدته النظريّة العصبيّة للغة من تقدّم، خصوصا نموذج سريني نارايانان، المسمّى كارما (Karma)[٢]، فطوّرا مفهوم التصوّر، من حيث هو قدرة تصوّريّة، وحصرا تلك القدرة في الخلايا العصبيّة المسؤولة عن التفكير، قائليْن: "إنّ ما نسميه تصوّرات عبارة عن بنيات عصبيّة تمكّننا من أن نخصّص مقولاتنا ذهنيّا ونفكّر فيها"[٣].

ويتّصل النوع الثاني بالتصوّر الحرفيّ، وهو التصوّر الذي يعيّن الأشياء رأسا، و"يجب أن يُفهم فهما مستقلّا عن الاستعارة"[٤]. فيُدركه الإنسان بأنظمة إدراكه الحسّيّة، ويحدّده الجهاز الحسّيّ الحركيّ والإدراك الجشطالتي. وتقوم عمليّة الإدراك على الخصائص الملازمة للتصوّر. ويشكّل ذلك التصوّر الحرفيّ جزءا من معرفة الإنسان الخلفيّة وكفايته الموسوعيّة.

وللتصوّر الحرفيّ أقسام عدّة، من أبرزها تصوّرات الألوان نحو أبيض / أحمر، وتصوّرات قاعديّة نحو سيارة / غضب، وتصوّرات العلاقات الفضائيّة، نحو أمام / وراء، وتصوّرات الحركة الجسديّة نحو قفز / سبح. و"هذه التصوّرات تتعلّق بما يفعله

(١) George Lakoff, Women, Fire, and Dangerous Things What Categories Reveal about the Mind, University of Chicago Press, 1987, pp. 280-281.

(٢) Raymond W. Gibbs, Jr, Metaphor Wars Conceptual Metaphors in Human Life, p. 32.

(٣) جورج لايكوف ومارك جونسون، "الفلسفة في الجسد الذهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ"، ترجمة وتقديم عبد المجيد جحفة، (ط ١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ٢٠١٦)، ص: ٥٧.

(4) George Lakoff, Women, Fire, and Dangerous Things What Categories Reveal about the Mind, p. ٢٧٦.

الجسد، أي الإدراك والحركة، فإنّ المرء يتوقّع أنّ ما يقوم به الجسد فعلا ينبغي أن يشكّل هذه التصوّرات"[١].

ونشير في هذا المستوى إلى أنّ التصوّر الحرفيّ يحدّ بطريقتين: تنتمي الطريقة الأولى إلى الفلسفة الموضوعيّة، حيث يُبنى تصوّر الشيء انطلاقا من الخصائص الملازمة له، ويُفهم استنادا إليها. ويتمّ تصنيفه تبعا لمدى توفّر الشروط الضروريّة والكافية فيه. وتنتمي الطريقة الثانية إلى الفلسفة التجريبيّة، فالعرفانيّون يرون أنّ الخصائص الملازمة لا توفّر إلّا إدراكا جزئيّا للتصوّر الحرفيّ، وأنّ فهم أيّ تصوّر حرفيّ لا يكتمل إلّا عن طريق ما اصطلح عليه لايكوف وجونسن بالخصائص التفاعليّة[٢].

وعلى هذا الأساس يُبني التصوّر الحرفيّ عرفانيّا، انطلاقا من جشطلت من الخصائص متعدّد الأبعاد، وتلك الخصائص صنفان: أوّلهما الخصائص الملازمة. وتشمل، في تصوّر النار مثلا، المكوّنات والكثافة واللون والشكل والرائحة والإحراق. وهي خصائص ملازمة للنار في ذاتها. وثانيهما الخصائص التفاعليّة، وتشمل الخصائص الإدراكيّة، وتتمثّل في ما ندركه من النار، وخصائص النشاط الحركيّ، وتتمثّل في كيفيّة تعاملنا معها، والخصائص الغرضيّة وتتمثّل في وظيفة النار بالنسبة إلينا تبعا لحاجتنا إليها، بصرف النظر عن منافعها ومضارّها، فالنار مهلكة للبشر محرقة للشجر متلفة للحجر، ولكنّها منضجة للطازج مليّنة للصلب مقوّمة للمعوجّ.

(١) جورج لايكوف ومارك جونسون، "الفلسفة في الجسد الذهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ"، ص: ٨٢.

(٢) تشمل الخصائص التفاعليّة الخصائص الإدراكيّة وخصائص النشاط الحركيّ والخصائص الغرضيّة، لكونها ترتبط بالكيفيّة التي نتفاعل بها مع الأشياء.
لايكوف وجونسن، "الاستعارات التي نحيا بها"، ترجمة عبد المجيد جحفة، (ط ١، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠١٨)، ص: ١٣٢.

وليست الخصائص التفاعليّة خصائص ملازمة للنار في ذاتها، وإنّما هي مرتبطة بالكيفيّة التي نتفاعل بها مع النار. ورغم تكامل الخصائص الملازمة والخصائص التفاعليّة فإنّ التصوّر الحرفيّ يظلّ تصوّرا مفقّرا، ويحيل على الحدّ الأدنى من المعارف، وهو بناء حرفيّ ليس غنيّا بما يكفي ليكون تصوّرا تامّا ومكتملا.

ويتمثّل النوع الثالث في التصوّر المجرّد. وهو –حسب كوفيتش– "لا يمكن تجربته عن طريق الأنشطة الحسّيّة الحركيّة"(١)، ولا يُدركه الإنسان عن طريق مداركه الحسّيّة، بقدر ما يدركه عن طريق الذهن، نحو تصوّرات الدين والحياة والزمن والسببيّة والحبّ والكراهية والغضب. فالدين تصوّر مجرّد رغم كون الإنسان يمارس الشعائر الدينيّة، والحياة تصوّر مجرّد كذلك رغم أنّ الإنسان يعيش تفاصيلها بكلّ مداركه ومشاعره، والأمر ذاته بالنسبة إلى الزمن، فهو تصوّر مجرّد رغم كون الإنسان يعيش الزمن الفيزيائيّ والزمن النفسيّ. وأكثر المفاهيم المجرّدة شيوعا حسب لايكوف "الزمن والوضع والتغيّر والسبب والفعل والغرض والوسيلة"(٢). ويقتضي التصوّر المجرّد حدّا استعاريّا، لكونه مجرّدا أو غير محدّد تحديدا واضحا. فـ"التصوّرات المجرّدة لا تكتمل بدون استعارات"(٣).

وأمّا النوع الرابع للتصوّر فيتّصل بالتصوّر الاستعاريّ، أو الاستعارة التصوّريّة. وهو توليف بين التصوّر الحرفيّ والتصوّر المجرّد. فلمّا كان التصوّر المجرّد يكدّ الذهن ويستعصي عليه، ويتأبّى على الفهم والإدراك اليسير، فإنّ الذهن اختار سبيلا آخر

(1)Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, p. 37.

(٢) جورج لايكوف، "النظريّة المعاصرة للاستعارة"، ترجمة طارق النعمان، (مكتبة الإسكندريّة، ٢٠١٤)، ص: ٤١.

(٣) لايكوف وجونسن، "الاستعارات التي نحيا بها"، ص ٢٧٩.

للقبض عليه وفهمه وبَنينته وإخضاعه للإدراك، يتمثّل في الاستعارة. وتتحقّق الاستعارة بفهم تصوّر مجرّد، يُصطلح عليه بالميدان الهدف، من خلال تصوّر حرفيّ، يُصطلح عليه بالميدان المصدر، عن طريق إسقاط ترسيمات (Mappings) الثاني على ما يناسبها من ترسيمات الأوّل، سواء كانت ترسيمات أنطولوجيّة تتّصل بالكيانات أو ترسيمات معرفيّة تتّصل بالمعرفة حول التصوّر الحرفيّ أو الميدان المصدر(١). فنحصل على تصوّر استعاريّ. و"أغلب تصوّراتنا المجرّدة الأهمّ، انطلاقا من الحبّ إلى السببيّة وإلى الأخلاق، تُبنى تصوّراتها عبر عدّة استعارات معقّدة"(٢).

ومن أمثلة ذلك تصوّر الزمن، فهو تصوّر مجرّد. ولكي يسهل تمثّله نستعير له تصوّر الحركة من حيث هو تصوّر حرفيّ، فنستورد اللغة والمعرفة والاستنتاجات من تصوّر الحركة، و"يعدّ الحفاظ على الاستنتاج الخاصّيّة الأبرز في الاستعارات التصوّريّة"(٣)، فنحصل على التصوّر الاستعاريّ أو الاستعارة التصوّريّة "الزمن حركة". فالزمن بهذه الطريقة في الفهم هو تصوّر استعاريّ. وتتّصل بكلّ تصوّر استعاريّ تعابير لغويّة عدّة، يُشترط فيها مبدأ النسقيّة. ومن مظاهر نسقيّها أنّها تشترك في كونها ما صدقات (Extension) لذلك التصوّر الاستعاريّ، نحو "سيأتي الوقت المناسب" و"أزورك الأسبوع القادم".

وإذا كان التصوّر الاستعاريّ هو توليف بين التصوّر الحرفيّ والتصوّر المجرّد، تُرسّم بمقتضاه بعض خصائص التصوّر الحرفيّ أو المجال المصدر في ما يناسبها من خصائص

(1)George Lakoff, Women, Fire, and Dangerous Things What Categories Reveal about the Mind, pp. 386-387.

(٢) جورج لايكوف ومارك جونسون، "الفلسفة في الجسد الذهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ"، ص: ١٢٢.

(٣) جورج لايكوف ومارك جونسون، "الفلسفة في الجسد الذهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ"، ص: ١٠٣.

التصوّر المجرّد أو المجال الهدف، لإغنائه وتوسيعه، فمن أين يستمدّ قوّته الإقناعيّة؟ وفيم يظهر مفعوله الحجاجيّ؟

ثالثا: حجاجيّة الاستعارة التصوّريّة:

تستمدّ الاستعارة التصوّريّة طاقتها الحجاجيّة وقوّتها الإقناعيّة من مصدريْن: داخليّ أو ذاتيّ، يتعلّق بالاستعارة التصوّريّة في ذاتها ولذاتها، ومداره على الانسجام الذاتيّ، ومصدر خارجيّ أو موضوعيّ، يتعلّق بالاستعارة التصوّريّة منزّلة في سياق الاستعمال والتداول.

١- الانسجام الذاتيّ:

يتّصل المصدر الداخليّ للطاقة الحجاجيّة في الاستعارة التصوّريّة بالانسجام الذاتيّ، وهو ذو ثلاثة روافد: يتعلّق أوّلها بالمكوّن الأوّل في الاستعارة التصوّريّة، وهو التصوّر الحرفيّ. فالاستعارة التصوّريّة –على نحو ما رأينا أعلاه– توليف بين التصوّر الحرفيّ والتصوّر المجرّد، أو هي عمليّة قبض على التصوّر المجرّد من خلال التصوّر الحرفيّ. وكلّ تصوّر حرفيّ مستمدّ من تجربة من التجارب. ويمكن تصنيف تلك التجارب ثلاثة أصناف: جسديّة فيزيائيّة واجتماعيّة وثقافيّة.

– التجربة الجسديّة الفيزيائيّة: هي التجربة الحسّيّة الحركيّة التي ينجزها الإنسان اعتمادا على جسده أو المحيط الفيزيائيّ الذي يعيش فيه. وتنبثق منها عدّة تصوّرات حرفيّة، نحو النار والسحاب والسباحة. ولما كانت هذه التصوّرات الحرفيّة مستمدّة من التجربة الفيزيائيّة فإنّ جميع خصائصها الملازمة أو التفاعليّة تتمتّع بميزة الصدقيّة، فلا ينكرها أحد، ولا يعترض عليها معترض، بل تواضع عليه الجميع وسلّموا بها، وخضعوا لمختلف الأحكام المتّصلة بها، فلا اختلاف في أنّ النار، مثلا، ذات لهب وتحرق وتهلك.

– التجربة الاجتماعيّة: هي التجربة التي عاشتها مجموعة بشريّة، في حلّها وترحالها، سلما وحربا. وبسبب تواتر تلك التجربة وتراكمها على نحو متشابه تنشأ في العقل الجمعيّ لتلك المجموعة تصوّرات تحدّ تلك التجارب. ومن أمثلة ذلك تصوّر الحرب. فهو تصوّر يقوم على عدد من الأبعاد الطبيعيّة المكوّنة لبنيته، والمصطلح عليها بأبعاد البنية[١]، مثل طرفيْ الصراع، والمقاطع أي أحداث المعركة من هجوم ودفاع ومناورة وهزيمة ونصر، والأطوار، أي المراحل الكبرى من بداية وذروة ونهاية، والتعاقب الخطيّ، كالتعاقب بين الهجوم والدفاع، والترابط السببيّ، كأن يترتّب على الهجوم هجوم مضادّ، والغاية، وهي النصر. وبسبب أنّ تصوّر الحرب مستمدّ من التجربة الاجتماعيّة فإنّ أفراد المجتمع سيتّفقون على الأبعاد المكوّنة لبنيته، وسيسلّمون بها، وتتنزّل عندهم منزلة المسلّمة التي لا يختلفون حولها.

– التجربة الثقافيّة: هي التجربة المرتبطة بثقافة مجوعة لسانيّة مّا. وتنبثق منها مجموعة من التصوّرات، نحو تصوّر المال. فلهذا التصوّر بنية ذات أبعاد ثقافيّة، مثل طرفيْ التعامل، خصوصا المؤسسّات الماليّة، والمقاطع أي البيع والشراء والرهن والتأجير والسندات والصكوك والصرف، والأطوار أي الربح والخسارة، والتعاقب الخطيّ كالتحصيل الماليّ المستمرّ، والترابط السببيّ كأن تترتّب الخسارة على سوء التصرّف، وينتج الربح من حسن التدبير. ولما كان تصوّر المال مستمدّا من التجربة الثقافيّة فإنّ الأفراد الذين ينتسبون إلى تلك الثقافة سيقبلون بالأبعاد المكوّنة لبنية المال، ويتعاملون معها بوصفها مسلّمة من المسلّمات، فيخضعون لمختلف الالتزامات الناشئة منها، ويلتزمون بكلّ ما يترتّب عليها.

(١) لايكوف وجونسن، "الاستعارات التي نحيا بها"، ص: ٩٥.

ونودّ الإشارة في هذا المستوى إلى أنّ الفصل بين أنواع التجارب ليس إلّا فصلا منهجيّا، فمن الصعب التفريق داخل استعارة معيّنة، بين الأساس الفيزيائيّ والأساس الثقافيّ، فانتقاء أساس فيزيائيّ مّا من بين أسس فيزيائيّة أخرى أمر مرتبط بالانسجام الثقافيّ. ويمكن القول إنّ "كلّ تجربة هي كلّيّا ثقافيّة"(١). ويقول كوفيتش: "يبدو أنّه لا توجد حالات نقية. دائمًا ما يكون الأساس الجسديّ مشوبًا ببعض التأثير الثقافيّ، والأساس الثقافيّ يصبح دائمًا تجربة جسديّة حقيقيّة وطبيعية"(٢).

والمستفاد ممّا تقدّم نتيجتان: تتمثّل أولاهما في تجذّر التصوّر الحرفيّ في التجربة سواء كانت جسديّة فيزيائيّة أو اجتماعيّة أو ثقافيّة. وتتّصل النتيجة الثانية بقيمة المتصوَّر الذي يعيّنه التصوّر الحرفيّ، فبسبب كونه مستمدّا من التجربة فهو من المجرّبات، وكونه من المجرّبات فهو بمنزلة المشترك الجامع بين أفراد مجموعة لسانيّة وثقافيّة مّا، والمسلّمة التي يسلّم بها الجميع، ويذعنون لها ويخضعون لكلّ مقتضياتها. وبناء على ذلك فإنّ التصوّر الحرفيّ ينهض بدوريْن: فهو من جهة يستمدّ طاقته الإقناعيّة من كونه مشتركا وموضع اتّفاق بين الجميع، ومن جهة أخرى يزوّد الاستعارة التصوّريّة بحمولة حجاجيّة، تعدّ الرافد الأوّل لمصدر الطاقة الحجاجيّة الداخليّ.

ويتّصل الرافد الثاني من روافد الطاقة الحجاجيّة الداخليّة بالمكوّن الثاني في الاستعارة التصوّريّة، وهو التصوّر المجرّد. فهو تصوّر لا يمكن فهمه وتمثّله إلّا من خلال تصوّر آخر محسوس أو ينزع إلى الحسّيّة. ومثال ذلك تصوّرات الغضب والجدال والزمان، فلكي نفهمها نستعين بتصوّرات حرفيّة مثل النار والحرب والمال.

(١) لايكوف وجونسن، "الاستعارات التي نحيا بها"، ص: ٧٨.

(2)Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, p. 94.

فنحصل على التصوّرات الاستعاريّة الآتية: الغضب نار / الجدال حرب / الزمن مال. فكيف تشتغل العلاقة بين التصوّر المجرّد والتصوّر الحرفيّ داخل التصوّر الاستعاريّ؟

تشتغل العلاقة بين التصوّر المجرّد والتصوّر الحرفيّ بثلاثة طرق مختلفة: تستند الطريقة الأولى إلى منطلقات لسانيّة، فالعلاقة بين التصوّر المجرّد والتصوّر الحرفيّ علاقة إسناد، ويفيد الخبر إسناد حكم إلى المبتدأ. ولما كان الخبر في الاستعارات التصوّريّة المذكورة أعلاه، نار / حرب / مال اسما وليس صفة، فإنّه يفيد إسناد خصائص الاسم الوارد خبرا إلى الاسم الوارد مبتدأ. وعلاقة الإسناد هنا كلّيّة. وتستند الطريقة الثانية إلى منطلقات عرفانيّة، حيث يتحوّل المبتدأ ميدانا هدفا، ويتحوّل الخبر ميدانا مصدرا، والعلاقة بينهما علاقة إسقاط، فنسقط الترسيمات المميّزة للميدان المصدر على ما يناسبها من ترسيمات في الميدان الهدف، وفي ذلك تقييد لعلاقة الإسناد الكلّيّة الواردة في المستوى اللسانيّ. بل قد نقتصر في عمليّة الإسقاط على ترسيمة واحدة لتبئير جانب واحد في الميدان الهدف.

وأمّا الطريقة الثالثة فتستند إلى منطلقات بلاغيّة، فيرد التصوّر الحرفيّ مقدّمة كبرى، ويرد التصوّر المجرّد مقدّمة صغرى، وتكون النتيجة تصوّرا استعاريّا. والعلاقة بين التصوّر الحرفيّ والتصوّر المجرّد علاقة نقل. فالتصوّر الحرفيّ هو من المجرّبات التي تحظى بإجماع مجموعة لسانيّة وثقافيّة ممّا حولها، ومسلّمة يقبل بها أفراد تلك المجموعة ويخضعون لكلّ أحكامها ومقتضياتها. وهو يتميّز بالصدقيّة. وهذا التسليم سينتقل إلى التصوّر المجرّد فيحظى بسلطة التصوّر الحرفيّ ذاتها على النفوس. وتكون نتيجة عمليّة النقل هذه إسقاط ما للتصوّر الحرفيّ من صدقيّة وتسليم، على التصوّر المجرّد.

وتترتّب على عمليّة نقل صدقيّة التصوّر الحرفيّ والتسليم به إلى التصوّر المجرّد، إلى خلق مشابهة ثانية بينهما، فالمشابهة الأولى كانت في مستوى الخصائص الملازمة

والخصائص التفاعليّة، أو في مستوى الترسيمات الأنطولوجيّة والترسيمات المعرفيّة، وأمّا المشابهة الثانية فهي في مستوى الصدقيّة وتسليم المتلقّي بذلك. وهي مشابهة تقارب درجة التماهي في السلطة على المتلقّي.

وتتدعّم فكرة التماهي بقيام فعل الكينونة في اللغة الأنجليزيّة Is بين التصوّر المجرّد والتصوّر الحرفيّ. ثم تستقرّ عمليّة النقل تلك في مستوى التصوّر الاستعاريّ برمّته. وتمثّل حمولة الصدقيّة والتسليم التي انتقلت من التصوّر الحرفيّ إلى التصوّر المجرّد الرافد الثاني من روافد المصدر الداخليّ المولّد للطاقة الإقناعيّة في كلّ التصوّر الاستعاريّ. ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

المقدّمة الكبرى	النار محرقة ومهلكة.	الحرب خطط ومناورات وهجوم ودفاع وغايات.	المال ممتلكات ثمينة ومعاملات وموارد.
	↓	↓	↓
المقدّمة الصغرى	الغضب محرق ومهلك.	الجدال خطط ومناورات وهجوم ودفاع وغايات.	الزمان ثمين وموارد للاستثمار.
	↓	↓	↓
النتيجة	الغضب نار	الجدال حرب	الزمان مال

يمثّل التصوّر الحرفيّ مركز الثقل في البنية القياسيّة. ويستمدّ قيمته في كونه موضع اتّفاق بين الجميع. وتنتقل حمولته الحجاجيّة إلى النتيجة مرورا بالتصوّر المجرّد. وليست تلك النتيجة إلّا الاستعارة التصوّريّة. فيؤدّي التسليم بالتصوّر الحرفيّ إلى التسليم بالنتيجة المترتّبة عليه، أي الاستعارة التصوّريّة.

ولا يشتغل التصوّر الحرفيّ حجاجيّا بوصفه مسلّمة وموضعا مشتركا بين مجموعة بشريّة مّا فحسب، وإنّما يشتغل كذلك بوصفه الضمان أو قانون العبور في نموذج تولمين المنطقيّ. ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل الآتي:

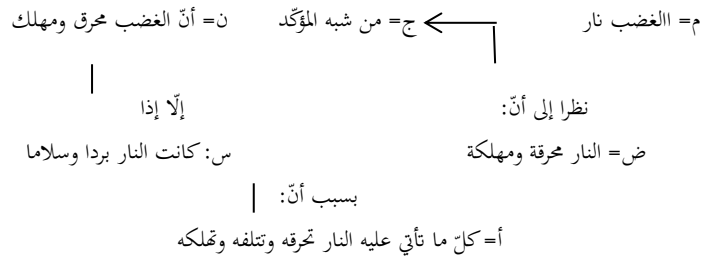

إنّ الضمان (ض) هو مركز الثقل الحجاجيّ، وهو يطابق التصوّر الحرفيّ. وتكمن قيمة التصوّر الحرفيّ في صدقيّته، فهو حقيقة أو حكم صادق مدرك عن طريق التجارب الفيزيائيّة أو الاجتماعيّة أو الثقافيّة، وقد تواضعت عليه مجموعة لغويّة أو ثقافيّة، واختبرت تلك الصدقيّة جيلا بعد جيل، ثمّ ترسّخ مسلّمة من المسلّمات ومشهورا من المشهورات التي يتّفق حولها الجميع. وهو قانون العبور إلى النتيجة وضمان عدم الوقوع في الخطأ.

وأمّا الرافد الثالث من روافد الطاقة الحجاجيّة الداخليّة في الاستعارة التصوّريّة فيتّصل بخاصّيّة أساسيّة من خصائص الاستعارة التصوّريّة، وهي خاصّيّة التواضعيّة. فبعد أن انتقلت حمولة الصدقيّة والتسليم من التصوّر الحرفيّ إلى التصوّر المجرّد فإنّها ستملأ فضاء التصوّر الاستعاريّ والخطاب المحيط الوارد فيه. فيكتسب خاصّيّة جديدة تتمثّل في التواضعيّة. ومفهوم التواضعيّة مفهوم مركزيّ في نظريّة الاستعارة التصوّريّة، ويمثّل المعيار الأوّل من معايير تصنيفها إلى جانب معياريْ الوظيفة ودرجة العموميّة[١]،

(1)Zoltan Kovecses, Metaphor a pratical introduction, p. 29.

ويفيد مدى انتشار الاستعارة التصوّريّة بين الناس، وتُصنّف على أساسه الاستعارات التصوّريّة إلى استعارات أكثر انتشارا بين الناس واستعارات أقل انتشارا. فالاستعارات الأكثر انتشارا بين الناس والأكثر جريانا على ألسنتهم هي استعارات تصوّريّة تواضعيّة، من قبيل استعارة الزمان مال. وتؤسّس الاستعارات التصوّريّة التواضعيّة النسق التصوّريّ لدى مجموعة لغويّة مّا. وتحمل تلك التواضعيّة أكبر عدد ممكن من أفراد مجموعة لسانيّة مّا على التسليم بما تعقده الاستعارة التصوّريّة من مشابهات، والقبول بالاستلزامات الناشئة منها.

ويترتّب على مصدر الطاقة الحجاجيّة الداخليّ أو الذاتيّ مفعول حجاجيّ في المتلقّي ذو ثلاثة وجوه: يتمثّل أوّلها في الإفهام، فالتصوّر المجرّد عصيّ عن الإدراك والتمثّل. فيستعير المتكلّم التصوّر الحرفيّ. ثم ينجز عمليّة إسقاط، يُسقط بمقتضاها أبعاد بنية التصوّر الحرفيّ أو خصائصه على ما يناسبها من أبعاد بنية التصوّر المجرّد أو خصائصه. فينزع ما فيه من غموض وتجريد. فيسهل على المتلقّي الفهم، ويُدرك التصوّر المجرّد إدراكا استعاريّا.

ويتعلّق الوجه الحجاجيّ الثاني بالتأكيد. فالضمان يؤكّد مسلّمة مشتركة، ويعمل على تقوية حضورها في الذهن. والمتلقّي يسلّم بالضمان ويصدّق به. وينتقل ذلك التصديق في ذهنه من الضمان إلى النتيجة. فتصبح النتيجة، أي التصوّر الاستعاريّ، قناعة مؤكّدة في ذهن المتلقّي تأكيد الضمان.

وأمّا الوجه الحجاجيّ الثالث فيتّصل بالضغط. ويتأتّى الضغط على ذهن المتلقّي من التجسيد (Pressure of our embodiment). فذهن المتلقّي يتحفّز عندما يجد نفسه أمام تصوّر مجّرد قد جسّده تصوّر حرفيّ نابع من تجربة الجسد في محيطه الفيزيائيّ

أو الاجتماعيّ أو الثقافيّ، فيواجه ضغط الانسجام (Pressure of coherence)[١] مع تلك التجارب. وقد أثبت علم الأعصاب أنّه أثناء فهم تصوّر مجرد، مجازيًا، يتمّ تنشيط مجموعتين من الخلايا العصبيّة في الدماغ في الوقت نفسه. حيث تعالج مجموعة أولى من الخلايا العصبية التصوّر الحرفيّ، وتعالج مجموعة ثانية من الخلايا العصبيّة التصوّر المجرّد[٢]. ويؤدّي الضغط على الذهن وتنشيطه إلى توريط المتلقّي في منطق الاستعارة الداخليّ، فيسلّم بالتصوّر الاستعاريّ الذي عُرض عليه، ويقبل بكلّ اقتضاءاته، ولا يجد سبيلا إلى نكرانه أو الاعتراض عليه.

ولا تستمدّ الاستعارة التصوّريّة طاقتها الإقناعيّة ومفعولها الحجاجيّ من انسجامها الداخليّ فحسب، بل هناك عوامل خارجيّة تزوّدها بمقدار كبير من الطاقة الإقناعيّة.

٢- السياق:

متى عدلنا عن النظر إلى الاستعارة التصوّريّة في ذاتها ولذاتها نظرة لسانيّة بنيويّة، ونظرنا إليها منزّلة في سياق الاستعمال نظرة تداوليّة بلاغيّة جاءت أمور أخرى عجاب، تتّصل بالخصائص الخلافيّة والوظائف الحجاجيّة. وكانت نظريّة الاستعارة التصوّريّة تعرّضت لنقد شديد بسبب إغفالها دور السياق[٣]. وقد حرص سلطان كوفيتش على التدارك بسدّ هذا النقص وإصلاح الافتقار. فخصّص الفصل الثامن عشر لدراسة الاستعارة في الخطاب[٤]. ونظر أساسا في مسألة السياق. ورأى أنّ الاستعارة تتأثّر في نشأتها بمجموعة من السياقات. فالسياق اللغويّ يحمل المتكلّم على

(1)Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, Oxford University Press 2015, p. 51.
(2)Ibid, p.22.
(3)Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, p. 98.
(4) Zoltan Kovecses, Metaphor a pratical introduction, pp. 285-304.

استعارة دون أخرى. وتؤثّر المعارف القبليّة سواء المتعلّقة بالمتكلّم أو المتلقّي في إبداع الاستعارة وفهمها. فمعارف المتكلّم السابقة حول المتلقّي تساعده في تحديد اختياراته الاستعاريّة، ومعارف المتلقّي السابقة حول المتكلّم تساعده في فهم الاستعارة.

وأسند سلطان كوفيتش دورا أساسيّا إلى السياق الفيزيائيّ، فالعناصر المقاميّة الكائنة آن–التلفّظ تؤثّر تأثيرا بالغا في إنتاج الاستعارة. والأمر ذاته بالنسبة إلى السياق الاجتماعيّ، فكلّ وضع اجتماعيّ يقتضي استعارات تناسبه. ويساهم السياق الثقافيّ بدوره في عمليّة إنتاج الاستعارة. فالمشترك الثقافيّ بين المتكلّم والمتلقّي ينهض بدور مهمّ في إنتاج الاستعارة وفهمها.

ولئن سعت محاولة سلطان كوفيتش إلى توسيع نظريّة الاستعارة التصوّريّة بإدخال عنصر السياق عليها، فإنّها لا تخلو من قصور متعدّد الوجوه. ومن وجوه القصور تلك التركيز على بيان دور السياق في إبداع الاستعارة وفهمها، وانسجام الخطاب. فقد عالج سلطان كوفيتش مسألة السياق في إطار فكرة جامعة هي "الإبداع الناتج من السياق" (Context-Induced Creativity)[1]. ومن وجوه القصور كذلك التقليص من دور الاستعارة في انسجام الخطاب في المحادثة مقارنة بالخطاب المكتوب. ومن أبرز وجوه القصور في محاولة كوفيتش بقاء البعد الخَطابيّ غامضا، حيث ركّز كوفيتش حديثه عن دور السياق في مساعدة المتلقّي في فهم الاستعارة فحسب.

ولذلك فإنّ محاولة سلطان كوفيتس ربط الاستعارة بالسياق هي مجرّد رتق لفتق في النظريّة الأصليّة للاستعارة التصوّريّة. وكأنّنا بسلطان كوفيتش قد أدرك أنّ محاولته لم تقدّم تصوّرا واضحا عن العلاقة بين العرفان والتداول. فأعاد دراسة المسألة من جديد

(1)Ibid, p. 292

في كتابه "من أين تأتي الاستعارة إعادة النظر في السياق في الاستعارة"، وخصّص الفصل العاشر للاستعارة والسياق[١]. وحدّد مفهوم السياق في قوله: "أنا أستخدم مصطلح "سياق" على نطاق واسع جدا، ليشمل كلّ من السياق اللسانيّ وغير اللسانيّ"[٢].

وقد طوّر سلطان كوفيتش مقاربته السابقة حول دور السياق في إنتاج الاستعارة وفهمها. فتحدّث عن السياق المناسب الذي يمكن الإفادة منه في إنشاء الاستعارة المناسبة التي تمكّن المتلقّي من الفهم. ونظر في العوامل السياقيّة الجامعة التي تمثّل أرضيّة مشتركة في اختيار الاستعارة وإنتاجها وفهمها، واصطلح عليها بـ"السياق التصوّريّ العرفانيّ" (Conceptual-cognitive context). وهو يتكوّن من العناصر الآتية:

– عناصر الخطاب الأساسيّة: تشمل المتكلّم والمتلقّي وموضوع الخطاب.

– محيط الخطاب: هو أساسا السياق اللسانيّ والسياق المقاميّ من منظور المتكلّم / المصوّر (Speaker / conceptualizer 1) أو من منظور المتلقّي / المصوّر (Hearer / conceptualizer 2).

– البيئة الفيزيائيّة: تشمل النباتات والحيوانات والمناظر الطبيعيّة ودرجة الحرارة، والطقس. فعلى سبيل المثال الاستعارات الإنجليزيّة الأمريكيّة تختلف اختلافا مميّزا عن استعارات الدول الأخرى الناطقة باللغة الإنجليزيّة.

– الوضع الاجتماعيّ: يتركّز حول مفاهيم مثل الجنس والطبقة والأدب والعمل والتعليم والمنظّمات الاجتماعيّة والبنية الاجتماعيّة وغيرها.

(1)Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, pp. 176-200.
(2)Ibid, p. 51.

– الوضع الثقافيّ: يتكوّن من نوعيْن من الثقافة: الثقافة ١، وتتمثّل في النظام التصوّريّ المشترك في المستوى الكونيّ. والثقافة ٢، وتتمثّل في المعرفة المحدّدة أثناء التواصل في إطار سياق محلّيّ. والاستعارات المنتمية إلى النوع الثاني من الثقافة تُسمّى استعارات مستحدثة بالسياق (Context-induced metaphors).

– التاريخ–الذاكرة: المقصود هنا ذكرى الأحداث في حياة مجتمع أو فرد. فكثيرا ما لوحظ أنّ ذاكرة الأحداث التاريخيّة يمكن أن تقود إلى إنتاج بعض الاستعارات وفهمها. فالسياقات التاريخيّة تجعل الاستعارات مختلفة بين الهنغاريّين والأمريكيّين.

– الاهتمامات والمشاغل: تؤثّر الاهتمامات والتوجّهات العامّة لدى الفرد أو المجتمع في بناء الاستعارة، فمن المرجّح أن يستخدم الفرد استعارات مستمدّة من مجاله المهنيّ. فالأمريكيّون محبّون للرياضة عموما، لذلك ليس من المستغرب أنّهم يستخدمون عددًا كبيرًا من الاستعارات الرياضيّة.

– الجسم حسب السياق: يمكن عدّ الجسم جانبا إضافيّا للسياق، خصوصا تلك الجوانب التي يتمّ تنشيطها أثناء التواصل. فالهيأة والخصائص الجسديّة الفردية تؤثّر في استخدام الاستعارات من قبل بعض الأشخاص في سياقات محليّة وفوريّة، فاختيارات ديكنسون الاستعاريّة تتأثّر بمرضها البصريّ.

– النظام التصوّريّ حسب السياق: يمكننا النظر في جوانب معيّنة من النظام التصوّريّ بوصفها عاملا إضافيّا في السياق. فالتصوّرات يتمّ تمثيلها بوصفها أطرا أو نماذج، وهي تشكّل جزءا كبيرًا من معرفتنا حول العالم.

– العلاقات الاستعاريّة بين التصوّرات: إنّ وجود بعض التصوّرات في الذاكرة طويلة المدى (Long-term memory) أو غيابها يؤثّر في إنتاج تصوّرات أخرى وفهمها.

– التصوّرات والقيم المتعارضة: هناك مسارات تصوريّة تقود من معنى أوّليّ له قيمة إلى المعنى نفسه، ولكن له قيمة معاكسة، مثلما هو الأمر في الفكاهة.

ثم ميّز سلطان كوفيتش بين نوعين من السياق: السياق المحلّيّ والسياق الشامل. يتضمّن السياق المحلّيّ التصوّرات العرفانيّة المحدّدة أثناء التواصل الفوريّ. بينما يتضمّن السياق الشامل أو الكونيّ المعرفة المشتركة بين أفراد المجتمع. وتوجد معظم العوامل السياقيّة المذكورة أعلاه في كلا السياقيْن. وفي هذيْن السياقيْن تتفاعل داخل النظام التصوّريّ المعارف الموجودة في الذاكرة طويلة المدى، والمعارف المحلّيّة المنشّطة.

وقد أجمل كوفيتش تصوّره حول العوامل السياقيّة التي تؤثّر في نشأة الاستعارة أو اختيارها من قبل المتكلّم، وفهمها من قبل المتلقّي في الرسم الآتي(١):

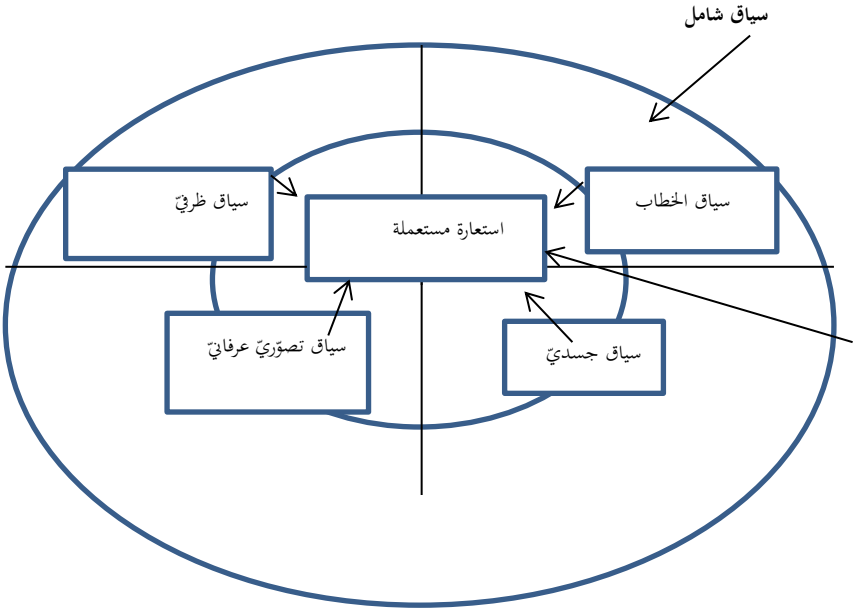

(1) Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, p. 189.

ورغم وعي سلطان كوفيتش بأنّه بصدد تطوير تصوّره السابق حول السياق فإنّ مقترحه في هذا الكتاب ليس إلّا مشروع إجابة عن سؤال حول كيفيّة صناعة المعنى الاستعاريّ (Metaphorical Meaning Making). وقد أقرّ ببعض وجوه القصور في تصوّره هذا قائلا: "حدّدت جميع العوامل السياقيّة التي تؤثّر في المفاهيم الاستعاريّة في المواقف التواصليّة الحقيقيّة. وهناك بالتأكيد عوامل إضافيّة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار للحصول على عرض أكثر اكتمالا لدور السياق في الاستعارة. ولم أقل الكثير في هذا الكتاب عن عوامل مهمّة مثل حالة المتكلّم أو المتلقّي العاطفيّة، وموقفهما من موضوع معيّن، والغرض من استخدام الاستعارة"(١).

لقد اقتصرت وظيفة تلك السياقات، على النحو الذي ذكره كوفيتش، على الفهم والإفهام والبيان والتبيين، وبيان دورها في نشأة استعارة جديدة أو اختيار واحدة من أخريات قديمة حسب مقتضيات سياق من السياقات. ونحن نقدّر أنّ الغرض من استخدام الاستعارة الذي لم يقل سلطان كوفيتش في خصوصه "الكثير" يتّصل بالعلاقة بين التداول والعرفان، ومقدار الحمولة الحجاجيّة في الاستعارة التصوّريّة، والدور الذي تنهض به في الإقناع، أو بالأحرى يجيب عن جانب من السؤال الجوهريّ، كيف تكون الاستعارة التصوّريّة حجاجيّة؟.

إنّ جميع تلك السياقات التي ذكرها كوفيتش تثير مسألتيْن على قدر كبير من الأهمّيّة: أولاهما هي مسألة التداول، وما قد يترتّب عليه من خلاف محتمل بين المصوِّر والمصوَّر له أو المتكلّم والمتلقّي. وهو خلاف ناشئ أحيانا من الاستعارة ذاتها، وأحيانا أخرى من سياق من سياقاتها. فلئن بُنيت الاستعارة التصوّريّة على مسلّمة من المسلّمات فإنّ درجة القبول بها تختلف من متلقّ إلى آخر، فليس كلّ متلقّ يذعن لأيّ

(1)Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, p. 188.

استعارة تصوّريّة، ويقبل بها آن–قول المتكلّم. بل إنّ الاستعارة التصوّريّة موضع خلاف بين المتكلّم والمتلقّي في عدّة مستويات. وقد وقف سلطان كوفيتش على مظاهر الخلاف حول الاستعارة التصوّريّة. وجعلها ثلاثة أنواع: خلافا متّصلا بالتباين الثقافيّ سواء بين الثقافات أو داخل الثقافة الواحدة، وخلافا يتّصل بمكوّنات الاستعارة وأسسها التجريبيّة، وخلافا يتّصل بالسياق(١).

وتتّصل المسألة الثانية بالإقناع، فكلّ تلك السياقات تساهم في تزويد الاستعارة التصوّريّة بمقدار من الطاقة الحجاجيّة، يتمثّل أساسا في كون تلك السياقات تمثّل رافدا يجذّر الاستعارة التصوّريّة في سياقاتها ويمنحها قوّة حجاجيّة متعدّدة الوجوه. فيجد المتلقّي نفسه مذعنا، على نحو من الأنحاء، للمعطى الذي تقرّه الاستعارة التصوّريّة. فكيف يزوّد السياق الاستعارة التصوّريّة بطاقة حجاجيّة؟ وكيف يشتغل حجاجيّا؟.

ينهض السياق بدور أساسيّ في تزويد الاستعارة بحمولة حجاجيّة، ويمثّل المصدر الخارجيّ من مصادر تلك الحمولة. وهو يشتغل حجاجيّا انطلاقا من العناصر الستّة الآتية:

– البنية التصوّريّة: تتكوّن الاستعارة التصوّريّة من قسميْن: قسم مصرّح به يتمثّل في المعطى أو المنطوق (Posé)، وهو من صناعة المتكلّم، وهو عادة متكلّم جمعيّ، وقسم مضمر يتمثّل في عمليّة الترسيم، وهو قسم يتولّى المتلقّي الوصول إليه وتأويله. وإذا كانت الصورة، عموما، عند عبد الله صولة "تبني شيئا هو إجمالا محلّ "خلاف" على شيء هو إجمالا "محلّ اتّفاق""(٢)، فإنّ الاستعارة التصوّريّة تبني شيئا مجرّدا على

(١) Ibid, p. 52.

(٢) عبد الله صولة، "الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة"، (ط ٢، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٧)، ص: ٥٥٦.

شيء محسوس، وهي تبني في الوقت ذاته شيئا غير معلوم وغير مسلّم به وموضع خلاف على شيء معلوم ومسلّم به وموضع اتّفاق.

وتتكوّن البنية التصوّريّة في الاستعارة التصوّريّة من بنية نموذجيّة ثلاثيّة الأركان، تتّخذ الشكل الآتي:

(أ ⟵ Ø ⟵ج). يمثل العنصر (أ) التصوّر المجرّد أو الميدان الهدف، ويمثّل العنصر (ج) التصوّر الحرفيّ أو الميدان المصدر، وأمّا العلامة Ø فتمثّل محلّا شاغرا لم يُذكر في البنية التصويريّة. وهذا المحلّ الشاغر هو مجموع الترسيمات المقصودة بالاستعارة في سياق تواصليّ مّا. ومدار الحجاج كلّه في الاستعارة التصوّريّة على هذا المحلّ الشاغر، وما يقتضيه من ترسيمات. فيجد المتلقّي نفسه خاضعا لمنطق الاستعارة، ومجبرا على الاستعانة بكفاءته العرفانيّة (Cognitive Capacity) للوصول إلى العناصر المضمرة، ثم ملء المحلّ الشاغر.

ففي استعارة الغضب نار يسعى المتلقّي إلى إنجاز نشاط ذهنيّ ليملأ المحلّ الشاغر، وينطلق في ذلك من تصوّر النار لكونه تصوّرا حرفيّا ونقطة الارتكاز في عمليّة الفهم والاستيعاب. وهذا التصوّر مأخوذ من عالم خطاب المتلقّي، وهو مدرك عن طريق التجارب. وينشّط المتلقّي في ذهنه مجموع المعارف الغنيّة المتّصلة بتصوّر النار، ويستدعي بعض الترسيمات، سواء كانت تلك الترسيمات أنطولوجيّة أو معرفيّة. وتمثّل تلك المعارف المنشَّطة والترسيمات المستدعاة معلومة قديمة بالنسبة إلى المتلقّي.

ولن يقف ذهن السامع عند هذا المستوى، بل سيسقط تلك المعارف والترسيمات على ما يناسبها في الغضب من حيث هو التصوّر المجرّد أو الميدان الهدف المقصود من الاستعارة. فحرارة النار واشتداد لهيبها يناسبان حرارة الجسد ومختلف علامات الغضب الجسديّة، والتآكل الداخليّ يناسب اشتداد انفعال الإنسان الغاضب، ويناسب الشرر المتطاير ردود الأفعال العنيفة. ثم يصل المتلقّي إلى أنّ

عناصر النار تتناسب أنطولوجيّا ومعرفيّا مع مثيلاتها في الغضب، وترسّم بذلك عناصر التصوّر الحرفيّ عناصر التصوّر المجرّد. وتؤدّي عمليّة الترسيم تلك، إلى خلق مشابهة بينهما. وهذه النتيجة تمثّل معلومة جديدة بالنسبة إلى المتلقّي، أو هي في حكم الجديد. وهي التي ستملأ المحلّ الشاغر في البنية التصويريّة النموذجيّة للاستعارة التصوّريّة. ولما كان المتلقّي سيصل إلى هذه النتيجة بعد مجهود ذهنيّ ذاتيّ، فإنّه سيعدّها نتيجته الشخصيّة ويزداد بها اقتناعا.

ولئن كان المتكلّم والمتلقّي يتّفقان حول التصوّر الحرفيّ بمختلف عناصره بوصفه ميدانا محسوسا ومعلوما، فإنّ المتلقّي قد لا يتّفق مع المتكلّم حول اختيار ترسيمات دون أخرى، وما يترتّب عليها من إيجاد مشابهة بينهما بناء على بعض الاعتبارات الخطابيّة الحافّة بمقام التواصل. وهذا مدار خلاف محتمل بين المتكلّم والمتلقّي حول الاستعارة التصوّريّة، بصرف النظر عن طبيعة الخلاف ودرجته وعمقه(١).

– نسبيّة الترسيمات: يلحّ لايكوف في أكثر من موضع من أعماله على أنّ الاستعارة ليست إلّا ترسيما تصوّريّا، ومن ذلك قوله: "الاستعارات ترسيمات، أي مجموعة من التناظرات التصوّريّة"(٢). ولكنّ هذه الترسيمات ليست موضع اتّفاق بين الجميع، ولذلك نجد لايكوف يتساءل في موضع آخر قائلا: "هل هذا الترسيم صحيح معرفيّا؟ بمعنى آخر هل هو توافق حيّ في النسق التصوّري للمتكلّمين؟"(٣). ثم

(1)George Lakoff, Women, Fire and Dangerous Things What Categories Reveal about the Mind, p. 308.

(٢) لايكوف وجونسن، "الاستعارات التي نحيا بها"، ص: ١٤.

(٣) جورج لايكوف ومارك جونسون، "الفلسفة في الجسد الذهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ"، ص: ١١٤.

يحسم الأمر بأنّ تلك الترسيمات "تقع في نطاق التفسيرات المعقولة أكثر منها في نطاق النتائج العلميّة"(١).

فقد لا يتّفق المتكلّم والمتلقّي على عدد الترسيمات الموجودة في التصوّر الحرفيّ، وما يناسبها من ترسيمات موجودة في التصوّر المجرّد، وقد لا يراعي أحدهما مبدأ الثبات المتحكّم في الترسيمات، وقد يختلفان حول الترسيم المقصود بالذات من الاستعارة أو التعبير اللغويّ المستلزم عنها، فيقصد المتكلّم ترسيما، ويفهم المتلقّي ترسيما آخر. وقد يكون المتكلّم والمتلقّي في حالتيْن مزاجيّتيْن مختلفتيْن، فيتذكّر المتلقّي الترسيمات التي تسعفه بها الذاكرة تحت تأثير العاطفة النشطة حينها، لما بين العاطفة والإدراك والفهم والتذكّر من روابط متينة(٢)، فيجد نفسه على طرفيْ نقيض مع مقاصد المتكلّم. وهذا فضلا عن أنّ في كلّ استعارة تصوّريّة جزءا مستعملا وجزءا مهملا. وقد يلتبس الأمر على المتلقّي فلا يميّز المستعمل من المهمل، فيتعمّق الخلاف مع المتكلّم ويشتدّ. يقول لايكوف: فـ"لا ينبغي أن يتمّ تصوّر الترسيمات بوصفها عمليّات أو بوصفها حلولا حسابيّة تستوعب ميكانيكيّا مدخلات مجال الانطلاق وتنتج مخرجات مجال الوصول. بل بدلا من ذلك ينبغي أن يرى كلّ ترسيم بوصفه نموذجا راسخا من التناظرات الأنطولوجيّة عبر مجالات بمكن أن تكون، ويمكن ألّا تكون منطبقة على بنية معرفة مجال الانطلاق أو على وحدة معجميّة من مجال الانطلاق"(٣). ويؤدّي الاختلاف حول الترسيمات المقصودة في الاستعارة التصوّريّة إلى اختلاف حول المشابهة المنتظرة.

(١) جورج لايكوف، "النظريّة المعاصرة للاستعارة"، ص: ٧١.

(2)Evgenia Paparouni, A case for emotion awareness, in Rhétorique et cognition Perspectives théoriques et stratégies persuasives, Peter Lang SA, Editions scientifiques internationales, Berne, 2016, p. 38.

(٣) جورج لايكوف، "النظريّة المعاصرة للاستعارة"، ص: ١٩.

– نسبيّة المشابهة: لا تقوم الاستعارة التصوّريّة على محور المشابهة الموجودة قبليّا بين مشبّه ومشبّه به في مستوى الخصائص الملازمة، على نحو ما هو شائع في التفكير البلاغيّ الكلاسيكيّ، وإنّما تقوم على خلق مشابهة بعديّا في مستوى الخصائص التفاعليّة، انطلاقا من تفاعل الإنسان مع محيطه الفيزيائيّ والاجتماعيّ والثقافيّ. ولا يخلو خلق المشابهات، خصوصا في الاستعارات الجديدة، من ذاتيّة المتكلّم، وذلك مدعاة إلى اعتراض المتلقّي على هذا الضرب من المشابهات. وقد تختلف طرائق الفهم بين المتكلّم والمتلقّي فيختلفان في الوصول إلى المشابهة المقصودة، لكون أحدهما استند إلى الوساطة التجريبيّة (Experiential mediation) واستند الآخر إلى الوساطة الدلاليّة (Semantic mediation)[١]. فتتعمّق درجة الخلاف، وقد تشمل التصوّر الاستعاريّ كاملا.

– التواضعيّة: هناك استعارات تصوّريّة قاعديّة تواضعيّة، وهي محلّ اتّفاق بين جميع الناس في أغلب الثقافات، من قبيل استعارة الأكثر مرتفع والأقلّ منخفض، واستعارة المعرفة رؤية. وهي استعارات واسعة الانتشار، وتكون أحيانا هذه الاستعارات ذات طابع كونيّ خصوصا الاستعارات المتنميّة إلى المستوى الأعلى. وقد عدّ جيبس الاستعارة التصوّريّة حاوية مضغوطة موجودة في أغلب اللغات[٢]. ولكن هناك استعارات تصوّريّة غير تواضعيّة، تشمل الاستعارات التصوّريّة الجديدة، من قبيل "الحبّ عمل فنّيّ مشترك" أو "الاستعارات المتعمّدة" (Deliberate metaphor) باصطلاج جيبس[٣]. ولذلك فإنّ "الترسيمات الاستعاريّة تتفاوت في كونيتها، إذ يبدو بعضها كونيّا وبعضها واسع الانتشار

(1) Raymond W. Gibbs, JR and Ana Cristina Pelosi Silva de MACEDO, METAPHOR AND EMBODIED COGNITION, https://www.scielo.br/scielo.php?pid=S0102-44502010000300014&script=sci_arttext.
(2)Raymond W. Gibbs, Jr, Metaphor Wars Conceptual Metaphors in Human Life, p. 37.
(3)Ibid, p. 88.

وبعضها الآخر يبدو خاصّا"[١]. ولا تتوفّر تلك الاستعارات الخاصّة أو المتعمّدة على الحدّ الأدنى من إجماع الناس حولها، فتظلّ محلّ تقاطع بين وجهتيْ نظر المتكلّم والمتلقّي.

– وجهة النظر: إنّ الاستعارات عموما "تقترح وجهات نظر أو تفرضها"[٢] على المتلقيّ. وتمثّل الاستعارة التصوّريّة في وجه من وجوهها موقف المتكلّم ووجهة نظره وتصوّرا من تصوّراته وطريقة من طرائق تفكيره في فهم الذات والكون وأشيائه، وتعكس ثقافته، وتترجم عواطفه لكون العواطف "مكملة للإدراك"[٣]. ومن أبرز أهدافها، حسب جيبس، "تغيير وجهة نظر المرسل إليه حول المرجع أو الموضوع"[٤]. ولكنّ المتلقّي قد لا يتّفق مع وجهة نظر المتكلّم، ويعترض على تصوّراته، وطرائق فهمه لبعض الأمور، خصوصا في الاستعارات المستمدّة من مجال تجربة غنيّ. وقد يبئّر المتكلّم جانبا واحدا في الاستعارة، يراه قمينا بتبليغ وجهة نظره، في حين ينصرف ذهن السامع إلى جوانب أخرى. وفي هذه الحالة تكون الاستعارة غير ملائمة لما يفكّر فيه السامع. وقد لا تتمكنّ المعلومات النشطة في ذهن المتلقّي في سياق من السياقات من معالجة الاستعارة على النحو الذي يكشف وجهة نظر المتكلّم، فضلا عن التباين الثقافيّ بين المتكلّم والمتلقّي، فتظلّ الاستعارة غامضة (Ambiguous Metaphor)[٥].

(١) جورج لايكوف، "النظريّة المعاصرة للاستعارة"، ص: ٨٠.

(2) Pierre-Yves Raccah, Métaphore points de vue argumentatifs construction du sens, in Métaphore et argumentation, Academia-L'harmattan s.a. 2017, p. 86.

(3)Sam Browse, Cognitive rhetoric, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia, 2018, p. 155.

(4)Raymond W. Gibbs, Jr, Metaphor Wars Conceptual Metaphors in Human Life, p. 83.

(5)Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, p. 8.

– القصديّة: يتعزّز الاختلاف في وجهة النظر بمفهوم القصديّة. فالمتكلّم قد يُجري الاستعارة لغايات لا تخدم مبدأ التعاون في التواصل مع السامع، بقدر ما تخدم مقاصده الذاتيّة بما في ذلك التضليل والتلبيس والتغليط. يقول لايكوف: "علينا أن نتعلّم متى تكون الاستعارة مفيدة للفكر، ومتى تكون حاسمة للفكر، ومتى تكون خادعة ومضلّلة. والاستعارة التصوّريّة قد تكون كلّ هذه الثلاثة"(١).

وعلى هذا النحو يكشف السياق بمختلف عناصره الكائنة زمن القول طبيعة الخلاف ودرجته وعمقه، حول الاستعارة التصوّريّة بين المتكلّم والمتلقّي. وهو في الوقت ذاته يساهم في تزويد الاستعارة التصوّريّة بحمولة حجاجيّة تعزّز طاقتها الإقناعيّة. ولا شكّ في أنّ ذلك سيترتّب عليه تأثير في النظام التصوّريّ في ذهن المتلقّي وتغيير في سلوكه. فما مفعول تلك الطاقة الحجاجيّة في المتلقّي؟

إنّ الطاقة الحجاجيّة التي تستمدّها الاستعارة التصوّريّة من السياق ذات مفعول حجاجيّ ذي ثلاثة وجوه مختلفة: يتمثّل أوّلها في المحاجّة بالنتيجة. وهي في مظهر من مظاهرها حجّة نفعيّة أو براغماتيّة حسب بيرلمان وتيتكاه الذيْن عرّفاها بأنّها "الحجّة التي تسمح بتقويم عمل مّا أو حدث مّا تبعا لنتائجه الإيجابيّة أو السلبيّة"(٢). فاستعارة الجدال حرب عمل ذهنيّ، أدّى إلى خلق مشابهة صار بمقتضاها الجدال حربا. ورغم التناسب بين الترسيمات المكوّنة للحرب والترسيمات المكوّنة للجدال، فإنّ متصوّر الحرب مهما عُدل به إلى اختزاله في مجموعة من الترسيمات لا يمكنّ تجريده من المعينم (Sème) المهيمن فيه في أصل وضعه اللغويّ، وهو معينم القتل

(١) جورج لايكوف ومارك جونسون، "الفلسفة في الجسد الذهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ"، ص: ١٢٢.

(2)Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l’argumentation: La nouvelle rhétorique, p. 358.

والدمار، سواء كان ذلك مادّيّا أو نفسيّا. ولذلك فإنّ معينم الدمار سيقفز إلى الواجهة الأماميّة من وعي المتلقّي حالما يتلقّى استعارة الجدال حرب، قبل أن يدرك التناسبات القائمة بين مختلف الترسيمات في الجدال والحرب.

وتؤثّر هيمنة معينم القتل والدمار في اختيار ترسيمات دون أخرى، أو تبئير بعضها وإغفال البعض الآخر، نحو الهجوم على العدو / الأسلاحة الفتّاكة / القتل / التخريب. وهذه العناصر المكوّنة لتصوّر الحرب بوصفه ميدانا مصدرا، والمتّصلة اتّصالا مباشرا بمعينم القتل والدمار سترسّم العناصر التي تناسبها في تصوّر الجدال بوصفه الميدان الهدف. فيصبح الجدال هجوما على الخصم بأفتك أنواع الحجج نحو حجّة الأدهومينيم (Ad hominem) المعدول فيها عن مناقشة المسألة الخلافيّة إلى مناقشة الشخص في ذاته وإبراز تناقضاته ومظاهر النقص في إيتوسه. ومتى فُهمت استعارة الجدال حرب على هذا النحو ستؤدّي سلوكيّا إلى الزيادة في منسوب العدوانيّة لدى المجادل ١، في حين يُراق ماء وجه المجادل ٢، وتُنتهك حياضه ويُسقط سقطة لا يقوم بعدها أبدا، فلا يجد أرضا تقلّه ولا سماء تظلّه.

وتشترك تلك العناصر أو الترسيمات في كونها تبئّر النتائج المترتّبة على الحرب أكثر من تبئير خصائص الحرب في ذاتها، سواء الملازمة أو التفاعليّة، وهي نتائج في الطبقة العليا من السلبيّة. فيقتنع المتلقّي بأنّ سلبيّات الجدال أكثر من منافعه، ولا شكّ في أنّ هذه القناعة ستؤثّر تأثيرا مباشرا في توجيه أعماله وسلوكه، وطرائقه في الجدال لاحقا.

ويتمثّل الوجه الحجاجيّ الثاني في تغيير المحيط العرفانيّ (Cognitive environment)[١]. يقول سبيربر وويلسون: "سنحاول أن نثبت أنّك حين تتواصل،

(١) Dan Sperber et Deirdre Wilson, La pertinence Communication et Cognition, Minuit, Paris, 1989, p. 66.

فإنّك تقصد أن تغيّر المحيط العرفانيّ لمستمعيك"[١]. ويتوافق المحيط العرفانيّ مع جميع تلك السياقات التي اصطلح عليها كوفيتش نفسه بـ"السياق التصوّريّ العرفانيّ"، فهو يقول: "يبدو مفهوم المحيط العرفانيّ المتبادل، متوافقا مع فكرة السياق"[٢]. ولما كان التواصل ينهض في قسم كبير منه على الاستعارة التصوّريّة، فلا شكّ في أنّها ستساهم بقسط وافر في تغيير المحيط العرفانيّ لدى المتلقّي. ولذلك التغيير أربعة مظاهر[٣]:

– الترسيخ: يتمثّل في ترسيخ المعلومة القديمة الموجودة ذهن المتلقّي. فاستعارة الدين تجارة تمكّن ذهن المتلقّي من سحب المعطيات اللغويّة نحو بضاعة / ثمن / بيع / شراء، والمعطيات الاستنتاجيّة نحو الربح / الخسارة، في تصوّر التجارة، على تصوّر الدين. فيقبل الذهن هذه المعطيات الجديدة ليرسّخ بها المعطيات القديمة، وتكوّن جزءا جديدا من معرفته الخلفيّة وكفاءته الموسوعيّة.

– التعديل: يتّصل بتغيير جزئيّ في المعلومة القديمة. فاستعارة الشرّ قوّة قد تغيّر بعض المعلومات القائمة في ذهن المتلقّي حول تصوّر الشرّ. ولعلّ تلك المعلومات القديمة كانت تقتصر على اعتبار الشرّ رذيلة وجب الحرص على عدم الوقوع فيها، أو خطرا وجب الابتعاد عنه. ولكنّ استعارة الشرّ قوّة تزوّد المتلقّي بمعلومات جديدة من خلال نقل البنية الاستنتاجيّة في القوّة إلى الشرّ. فيُفهم الشرّ بوصفه إمّا قوّة خارجيّة ترغب في مصادرة بعض حقوقك، وإمّا قوّة داخليّة تقودك إلى المحظور.

– الحذف: يتمثّل في إزالة المعلومة القديمة. فاستعارة المعرفة رؤية تقدّم للمتلقّي مفهوما جديدا للمعرفة يقوم على التناسب بين تصوّر المعرفة وتصوّر الرؤية في مستوى الترسيمات الأنطولوجيّة والمعرفيّة. ففي مستوى الترسيمات الأنطولوجيّة فإنّ العين

(١) Ibid, p. 76

(٢) Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, p. 178.

(٣) Dan Sperber et Deirdre Wilson, La pertinence Communication et Cognition, op. cit. 168.

توافق الذهن، ونشاط الإدراك الحسّيّ يوافق نشاط الإدراك الذهنيّ. وفي مستوى الترسيمات المعرفيّة، فإنّ العين تدرك كلّ ما هو موجود في حقلها البصريّ إدراكا واضحا وتتفاعل معه، ويوافق ذلك المعرفة، فهي تتيح رؤية حقائق الأمور ناصعة واتّخاذ موقف منها. وهذا التصوّر الجديد للمعرفة سيحذف من الذهن معلومة قديمة مفادها أنّ المعرفة مجرّد تراكم للمعلومات، ويقبل معلومة جديدة مفادها أنّ المعرفة بصر وبصيرة.

– الزيادة: تتمثّل في تقديم معلومة جديدة. فاستعارة الجدال حرب تنطوي على إفادة إدراكيّة علميّة غايتها القبض على مفهوم مجرّد وإزالة ما به من غموض وتجريد، ومفادها مَفهمة الجدل وبنينته انطلاقا من مفهوم الحرب. وسيستوعب السامع هذه الإفادة الإدراكيّة العلميّة، ويدرك مفهوما جديدا للجدال، ويخرج من حالة الجهل وخلوّ الذهن إلى حالة الإدراك والمعرفة بالجدال، فيتوسّع محيطه العرفانيّ. وقد يكون لذلك تأثير عميق في أسلوبه في المجادلة وسلوكه مع المجادلين.

وأمّا الوجه الحجاجيّ الثالث فيتمثّل في تغيير النسق التصوّريّ، فهو –حسب كوفيتنش– في حالتيْ "تعديل وتغيير باستمرار"[1]. وتنهض بهذا الدور الحجاجيّ الاستعارات التصوّريّة اللاتواضعيّة خصوصا، فهي استعارات جديدة مقارنة بالاستعارات التصوّريّة التواضعيّة التي تشكّل النسق التصوّريّ القائم في مجتمع أو ثقافة مّا، ولعلّ الشعراء أقرب الناس إلى خلق تلك الاستعارات الجديدة. وتساهم تلك الاستعارات الجديدة في خلق مشابهات جديدة، فيتوسّع الإدراك، وتتشكّل بعض الحقائق والتصوّرات القائمة تشكّلا جديدا. ويترتّب على ذلك توسيع النسق التصوّريّ لدى مجموعة ثقافيّة مّا، فيتغيّر سلوك المنتسبين إليها. وقد ينجم من كلّ ذلك تحوّل

(١) Zoltan Kovecses, Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, p. 51.

اجتماعيّ وثقافيّ يغيّر نمط الحياة في ذلك المجتمع أو تلك الثقافة. يقول لايكوف وجونسون عن الاستعارة الجديدة: "أمّا الاستعارات الجديدة فلها القوّة على خلق حقيقة جديدة. وقد يبدأ ذلك في الحصول حين نبدأ في إدراك تجاربنا والقبض عليها عن طريق هذه الاستعارات، وتصبح حقيقة أعمق حين نبدأ في التصرّف انطلاقا منها. إذا دخلت استعارة جديدة في النسق التصوّري الذي نؤسّس عليه تصرّفاتنا فإنّها تغيّر هذا النسق التصوّري كما تغيّر الإدراكات والتصرّفات التي ينشئها هذا النسق. وينشأ جزء كبير من التحوّل الثقافيّ من إدماج تصوّرات استعاريّة جديدة وفقدان أخرى قديمة"(١).

وعلى هذا النحو يكون السياق كفيلا بإحداث طبقات مختلفة من الخلاف بين المتكلّم أو المصوّر والمتلقّي أو المصوّر له. وفي ضوء هذا الخلاف تشتغل الاستعارة التصوّريّة حجاجيّا، فيتأثر المتلقّي أو يقتنع أو يُحمل على الاقتناع بما تعرضه عليه الاستعارة التصوّريّة من مشابهات، هي في وجه من وجوهها وجهة نظر المتكلّم وطرائقه في تصوّراته لذاته والكون وأشيائه من حوله، وهو لن يتوانى في اقتراحها على الآخرين، والعمل على التمكين لها في أذهانهم.

(١) لايكوف وجونسن، "الاستعارات التي نحيا بها"، ص: ١٥٠.

الخاتمة:

يتّضح ممّا تقدّم أنّ الاستعارة التصوّريّة استعارة حجاجيّة بامتياز، هيمنت فيها الوظائف الحجاجيّة على الوظائف العرفانيّة. وهي تستمدّ طاقتها الحجاجيّة من مصدريْن: أوّلهما مصدر ذاتيّ يشتغل في إطار لسانيّ بنيويّ، ومداره على مكوّنات الاستعارة التصوّريّة وبنيتها ومنطقها الداخليّ. فهي قائمة في أصل وضعها على التصوّر الحرفيّ. وينطوي التصوّر الحرفيّ على حكم موجب أو سالب، مستمدّ من التجارب الفيزيائيّة أو الاجتماعيّة أو الثقافيّة. وليس ذلك الحكم إلّا مسلّمة تحظى بالموافقة العامّة لدى مجموعة لسانيّة أو ثقافيّة مّا.

وأمّا المصدر الثاني فيشتغل في إطار خَطابيّ بلاغيّ، ومداره على سياق التلفّظ الذي تُستعمل فيها الاستعارة التصوّريّة. فالسياق بمختلف عناصره الكائنة آن-التلفّظ أو آن-التلقّي يزوّد الاستعارة التصوّريّة بحمولة حجاجيّة تُخرجها من الدائرة اللسانيّة والدلاليّة القائمة على الفهم والإفهام التي حصرها فيها العرفانيّون الأول، إلى دائرة الخطاب والبلاغة القائمة على التأثير والإقناع.

وتبيّن أنّ للاستعارة التصوّريّة مفعولا حجاجيّا متعدّد الوجوه، تركّز أساسا على البنية الذهنيّة لدى المتلقّي وما قد يترتّب عليها من تغيير في مستوى العمل والسلوك. وتدرّج ذلك المفعول من درجة الإفهام في مستوى الفرد إلى درجة تغيير النظام التصوّريّ في مستوى مجموعة لسانيّة وثقافيّة مّا.

وأدّت عمليّة تهيئة الممرّات بين العرفانيّة وبلاغة الحجاج إلى إكساب الاستعارة التصوّريّة هويّة تفاعليّة حجاجيّة تجعلها منطلقا لإيقاع التصديق في ذهن المتلقّي، إلى جانب هويّتها العرفانيّة التي كانت قد جعلتها منطلقا لإيقاع الفهم في ذهن المتلقّي. وقد كان ذلك في مستوى الاستعارات التصوّريّة القائمة على الإسقاط ما بين مجاليْن

تصوّريّيْن. ولعلّ الناظر في الاستعارات التصوّريّة القائمة على إسقاط الصورة أو إسقاط الخطاطة الصورة يقف على مظاهر حجاجيّة أخرى مختلفة.

ومن أبرز التوصيّات التي يوصي بها الباحث ضرورة الانخراط في هذا المسلك البحثيّ لتجسير العلاقة بين الحجاج والعرفانيّة من جهة، ولإرساء قواعد البلاغة العرفانيّة من جهة أخرى.

المراجع

١- المراجع العربيّة:

* ابن رشد، أبو الوليد،
"تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل"، تحقيق محمّد سليم سالم، (الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٠).
"نصّ تلخيص منطق أرسطو"، دراسة وتحقيق جيرار جهامي، (ط ١، بيروت، دار الفكر اللبنانيّ، ١٩٩٢)، ٥.
"نصّ تلخيص منطق أرسطو"، دراسة وتحقيق جيرار جهامي. (ط ١، بيروت، دار الفكر اللبنانيّ، ١٩٩٢)، ٦-٧.
* ابن سينا، الحسين بن عبد الله، "النجاة في الحكمة المنطقيّة والطبيعيّة والالهيّة". (ط ١، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٥).
* صولة، عبد الله، عبد الله صولة، "الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة"، (ط ٢، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٧).
* لايكوف، جورج، "النظريّة المعاصرة للاستعارة"، ترجمة طارق النعمان، (مكتبة الإسكندريّة، ٢٠١٤).
* لايكوف، جورج، وجونسن، مارك،
"الفلسفة في الجسد الذهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ"، ترجمة وتقديم عبد المجيد جحفة، (ط ١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ٢٠١٦).
"الاستعارات التي نحيا بها"، ترجمة عبد المجيد جحفة، (ط ١، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠١٨).

٢- المراجع الأجنبيّة:

* Aristote, Rhétorique, trad. C-E Ruelle, le livre de poche, Librairie

Générale Française, Paris, 1991.
* Browse, Sam, Cognitive rhetoric, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia, 2018.
* Gibbs, Raymond W, Jr, Metaphor Wars Conceptual Metaphors in Human Life, Cambridge University Press, 2017.
* Kovecses, Zoltan,
- Metaphor a pratical introduction, Oxford University Press, Second Edition, 2010.
- Where metaphors come from reconsidering context in metaphor, Oxford University Press, 2015.
* Lakoff, George, Women Fire and DangerousThings, What categories Reveal about the mind, University of Chicago Press, 1987.
* Paparouni, Evgenia, A case for emotion awareness, in Rhétorique et cognition Perspectives théoriques et stratégies persuasives, Peter Lang SA, Editions scientifiques internationales, Berne, 2016.
* Perelman, Chaim, and Tyteca, Lucie Olbrechts, Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, Éditions de l'université de Bruxelles, 6ème édition, Bruxelles, 2008.
* Plantin, Christian, Essais sur l'argumentation, introduction linguistique à l'étude de la parole argumentative, Éditions, Kimé, Paris, 1990.
* Raccah, Pierre-Yves, Métaphore points de vue argumentatifs construction du sens, in Métaphore et argumentation, Academia-L'harmattan s.a. 2017.
* Reboul, Olivier, Introduction à la rhétorique, Presses Universitaires de France, 2ème édition, Paris, 1994.
* Sperber, Dan et Wilson, Deudre, La pertinence Communication et Cognition, Minuit, Paris, 1989.
* Stephen, Edelston Toulmin, Les usages de l'argumentation, P.U.F. Paris, 1993.

٣- المراجع العربيّة مرومنة:

*Ibn Rushd, Abu al-Walid,
-"Talkhīs kitāb Arestutalis fi al-Jadal", investigated by: Muhammad Salīm Sālim, (The Egyptian General Book Organization, 1980).
-"Text summarizing the logic of Aristotle", (in Arabic), a study and investigation by: Gerard Jahami, (1st edition, Beirut, Dār Al-Fikr, 1992), 5.

- "Nas Talkhis Mantiq Aristotle", study and investigation by: Gerard Jehami, (1st edition, Beirut, Dār Al-Fikr, 1992), 6-7.
* Ibn Sīnā, Al-Husain Bin ʿAbdillah, "Al-Najāt fi al-Ḥikmat al-Manṭiqiyyah wa al-Ṭabīʿiyyah wa al-Ilāhiyyah", (2nd edition, Beirut Dār al-Āfāq al-Jadīdah, 1995).
* Lakoff, George, "The Contemporary Theory of Metaphor", In METAPHOR AND THOUGHT, (2nd edition, Cambridge University Press, 1992).
*Lakoff, George, and Johnson, Mark.
-" Philosophy in the Flesh: The Embodied Mind and Its Challenge to Western Thought", (New York: Basic Books, 1999).
- "Metaphors We Live By", (2nd edition, The University of Chicago Press, 2003).
* Soulah, Abdullah, "Al-Hijāj fi al-Qur'an min Khilali Ahammi Khasāʾisihi al-Usloubiyya", (2nd edition, Beirut, Dār Al-Fārābi, 2007).

٤- المراجع الإلكترونيّة:

* GIBBS, Raymond W. JR, and De MACEDO, Ana Cristina Pelosi Silva, METAPHOR AND EMBODIED COGNITION, https://www.scielo.br/scielo.php?pid=S0102-44502010000300014&script=sci_arttext.

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 8 | Part : 1 | Apr - Jun 2023